الجزء الخامس والسادس ٢٤٧، ٢٤٨ المجلد الحادي والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٦ جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٥

من عمل المجمعيين (١)

رأيت ألا ينفرط عقد هذا الحفل الكريم قبل أن أحدثكم حديثاً يهتم له من يحرص على سلامة العربية ويسر لانتشارها ووفائها بأغراض أمة متحضرة .

آتيكم بمثال مما يعمل أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لا أقصد به الذود عن قصور قد ارتكبناه ، ولا أن أباهي بما تم على أيدينا . وما أشار اليه الأستاذ الرئيس ، والأستاذ أمين السر يجزيء في هذا الباب . وأريد أن أقرر فقط ان عمل المجمع لا ينتهي في عقود قليلة من السنين لأنه عمل شاق طويل . وكما يحتاج تحصيل العلم الى أعوام يقتضي للانتاج فيه أعواماً وأعواماً . وتجويد كل عمل موقوف على أمور كثيرة وقد يعرف صاحب العمل نواقصه اكثر من غيره .

المجالس في العادة تتناقش في المعاني ونحن معاشر المجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا ان نقصر مناقشاتنا في الألفاظ والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً وندخل في الكتب المدرسية من أيسر سبيل تصل الى عقول الناشئة ، وكل لفظ تسارع الصحف الى تبنيه يكتب له الرواج ، وعمل المجمع

(١) ألقيت في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة في اليوم الرابع عشر من يناير ١٩٤٦ (١٠ صفر ١٣٦٥)

محدود المهمة في نحت الألفاظ ، وعليه ترك البناء للمهندسين والبنائين ، ولسان حال كل واحد منا «عليّ نحت القوافي من معادنها» فنحن اذاً نحاتون لا بناؤون نستخرج من الأنقاض أو المقالع ما يحسن استخدامه في البنية الجديدة ، أعاننا الله على ما نلقى من عنت وتعب .

لا ترون رصيفاً من رصفائي يداخله اليأس من الظفر بطَلِبَته مهما شقت الشقة لبلوغ المقصود بل تشهدونه مغتبطاً مسروراً بما يرجو ان يقع عليه في مناجم اللغة وركازها . ونحن بعد ذلك اذا وفقنا الى تحقيق جزء صغير من أمانينا في بث الفصيح ونبذ العامي والأعجمي عددنا أنفسنا مخترعين ولكن لا من عيار مخترع الراديو والراديوم مثلاً .

فالواحد منا اذا تعلقت همته بايجاد كلمة تقابل الكلمة الافرنجية شائعة في لغات العلم على عهدنا ولم يوفق الى ايجادها يندب سوء حظه ويقف حيران «وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه» واذا عثر على لفظ ظنه موافقاً لغرضه في أداء المعنى الذي يريد ان يقابله بمثله بفرح ولا فرحة المحب بلقاء حبيبه وقد طال افتراقهما . وأجمل ساعات المجمع ساعة يتناقش فيها أعضاؤه في وضع كلمة ، ويعج بأصوات الموالين والمعارضين ، وكل واحد يتصدى للادلاء برأيه بما يستخرج من محفوظه من الألفاظ . ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ، والكل يطالبونه بالكمال المطلق ، كأن أعمال المجامع كلها كملت ولم يبق منها ناقص الجهاز الا هذا المجمع الحديث .

ويح المجمع كم لقي من سخرية بعض الصحف التي ما تعففت عن أن تغمزه الفينة بعد الفينة لتضحك قراءها . وقديماً كانت المجامع العلمية موضوع دعابة لا يعذرها على بطئها في اخراج اعمالها الا الراسخون في العلم ممن صفت نفوسهم عن الأغراض وحُبب الانصاف اليهم .

وغفر الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلماً ونسبوا اليه وضع لفظ « شاطر والمشطور والكامخ بينهما » لكلمة سندويتش . وأعترف أني ما تمكنت من اقناع متعنت لأن هذه الكلمة الملصقة بالمجمع هي عندهم من الأدلة على عدم معرفته أو على الأقل على قلة ذوقه . وما زالت التهمة بحالها حتى شهدتها تتسلل من الصحف الى الكتب ، لتثبت دعواهم على عدم اضطلاع المجمع بما وسد اليه . وكل من أحب ان يتندر الينا يغمزنا غمزة خفيفة ليذكرنا حفظه الله بما ارتكبناه من اثم بوضع هذه اللفظة « الوحشة » والله يتوب على العاصي اذا اناب ، أما بعض الآدميين فقل ان يتسامحوا بهفوة يهفوها انسان وهم يتغاضون عن جماع حسناته .

وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال الفاظ استظهروها يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر . وأذكر ان احد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ وكنت يومئذ آخذ الأدب عن المشايخ فدفعت العدد الأول منها لأستاذي وكان اماماً في اللغة فقال لي هذه الجريدة لا تفهم بغير شرح فاشرحها لنا فصدعت بالأمر . واتفق ان كانت هوامش الجريدة متسعة فاستعنت بها على شرح الكلمات اللغوية حتى اصبحت صفحات تلك الصحيفة بمتنها وشرحها مثالاً من كتب الأزهر بين الصفراء اختلط رأسها بذنبها وامتزجت حواشيها الأربع بنصها وفصها . حقيقة ان محرر الجريدة الزراعية اثبت براعة فائقة في اللغة ولكن كم كان يا ترى عدد من فهموا من أهل اقليمه ما خطته يمينه وأملته قريحته .

وأذكر ان احد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري وابن منظور والفيروزبادي . ولفتُّ نظره الى عقم طريقته في وضع الفاظ أمام أطفال لا يفهمها اكثر أساتذتهم فغضب . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول امرهم ان يسيروا على طريقة العلامة الشنقيطي

أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات، ثقيلة كانت أم خفيفة، ساغت في ذوق سامعها وقارئها أم لم تسغ .

وأغرب من كل أولئك أن يرمى علماء اللغة بضعف العقل حتى لقد قال رنان : كان البحث في أصول اللغة ولا يزال عندنا سبباً من أسباب ضعف العقل حقيقة، وأرى أن من الحق بمكان عظيم ما قاله أحد مشاهير علماء الأمراض العقلية لعهدنا ، ان الأسباب الثلاثة التي دعت الى جنون كثير من الناس وكانوا من قبل من أرباب المدارك ، البحث في أصول اللغة والعشق والتعمق في اللاهوت (التيولوجيا) أجارنا الله واياكم من كل ضعف ولا سيما ضعف العقل .

* * *

والآن ننتقل بكم الى الحديث اللغوي . في علمكم أيدكم الله أن الفساد عرض لألسنة العرب بعد الفتح بقليل لمجاورة العجم ومداخلتهم . وكان هذا الفساد يزيد وينقص بقدر بعد العرب وقربهم من الجزيرة، وقد سلمت اللغة الفصحى في بعض الأرجاء الى ما بعد القرن السادس من الهجرة كما كان من شأن بعض قبائل اليمن لأنها كانت تعيش في أوديتها وجبالها بعيدة عن الأعاجم . واحتفظ أهل الشام بكثير من الفصح لانعزال بعض سكانها في أقاليم يكاد يكون الاتصال بينها معدوماً . وما كان الناس في القديم يرحلون كما نرحل ويسيحون كما نسيح اليوم بهذه الكثرة ، ولا يتمازجون بجيرانهم وغير جيرانهم هذا التمازج ، ورأينا الشام تكثر فيهـا الألفاظ السريانية كما تكثر الألفاظ النبطية والفارسية في العراق والقبطية في مصر . وبقيت في الشام ومصر والعراق والحجاز الفاظ ليست بقليلة أصلها رومي وتركي . وكانت الفاظ الزراعة والفلاحة في الشام سريانية والفاظ المدنية فارسية صقلتها الألسن فعاد أكثرها كأنه عربي الأصل ودخلت في معاجمنا وأصبحنا لا نعرف غيرها .

فمن الألفاظ النبطية او السريانية أي الأرامية الباقية في لهجة غوطة دمشق[1]

(١) راجع ما نشرته في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان « الفصيح والمولد في كلام أهل الغوطة » .

« شتل الغراس » أي غرسها ومنها « المشتلة » اي المغرسة او المستنبت و « دالل الغراس » غرسها بعيداً بعضها عن بعض و « الدّليل » من الزروع ما كان بعضه بعيداً عن بعض ومنه « الشرش » الجذر ويقولون شرش أزال الشرش من الأرض « قلّم الشجرة وقلّمها » قطعها و « شفّاها » قطع شفاها اي اطرافها « جمّ الكرم » قطع بعض أغصانه « شور » الشجرة ركم التراب حولها وفي الفصيح شوّر لوح بشيء وهي مستعملة عندهم أيضاً « عرّم التراب » كوّمه وكدّسه « الطربون » رأس الغصن أو القضيب المورق « كوّش الزرع » أو الحنطة جمعها « شكارة القمح » مقدار ما يزرع في قطعة أرض « نخ الخشب » او الحطب او تخنخ يبس وجف وتهرأ « الساروط » الأخدود الذي تحدثه المياه في الأرض لشدة جريانها ولهم منه فعل فيقولون « سورطت » الأرض أي حدثت فيها أخاديد « جهجه الضوء » لاح « الشوب » الحر و « طرش الثوب » وسخه .

وأخذوا من الفارسية الجادة والدهليز والدولاب والزبيل أو الزنبيل والسختيان والابريق والدورق والكاس والكشكول والقمقم والجام والفنجان والزنبرك والهاوون والبركار والصنج والدف والناي والكمنجة والبرواز والخرج والكمر « منطقة من الشعر » والهميان والتخت في الأصل وعاء تصان فيه الثياب وفي الاصطلاح مقعد كبير من الخشب والبشتختابة من بشتختة خزانة تجعل أمام القاعد لحفظ الأوراق والخاتون والخاقان والدرويش والاستاذ والبلور والياسمين والنسرين والنرجس والآذريون والشوندر والجلنار والخضراوات والريباس واللوبياء والكعك والطاجن والتازج يقولون تازة بحسب أصلها « الجلاب » ماء الورد ومنه كل آب لصنف من المشمش حرفوه فقالوا الكلابي والسميذ او السميد والخشكار الطحين الخشن والجوسق والميزاب والخنجر والصابون والاشنان والخلخال والخمار والزركش والسرداب والسراي — السرايا والداية القابلة والديدبان الحرس والغوغاء الجلبة وكثرة الأصوات والدرابزون والدبوس والسيخ والدردار والكراز والكراويا والسمانى والسنجاب والهزار والسنديان والسندان والغار والهليون والفهرست

والدستور والفرمان والخان معناها الدكان والحانوت والايوان والميدان والأنبار والآخور والكوخ والمسطاح والخردة والدستة .

وأخذوا من الرومية السمت والصراط والقرطاس والبطاقة والخارطة والاطلس والترمس والطرخون والأبرشية والابريز والاريكة والاساطير والاسطرلاب والاسطول والأسقف والماس والانبيق والاقيانوس والابقونة والبرج والفانوس والبطريرك والبلغم والترياق والجغرافية والدرهم والازميل والسفسطة والطقس والغرام والفندق والاقليم والكورة والقصدير والقيراط .

وفي اللغة الدارجة في مصر والشام كثير من الألفاظ اللاتينية والايطالية مثل اسكلة وانفلونزا وبابور وبارجة وبالة وبالو وبَنْدَيِة وبترول وبرذون وبرطاش وبرميل وبرنيطة وبسبور وبطاربة وبنادورة وبيرا وتياترو وليموناده وجرنال وجندرمة ومالاريا وجنرال ودوطة ودينار ولوكندة ورصيد وسطل وصابون وطاولة وطلبة وفانورة ومسطرة وفاصوليا وورنيش وفسقية وقنطار وقرصان وقومانداًن وكولونيل وكبسول وكربون وكرتون وكرنتينا وكروسة وكمبيالة وكبيو ومن التركية اسماء البقول والمآكل مثل البقدونس ودره اوتى (حشيشة الوادي) واسباناخ حرفوها بسبانخ والقاورمة اللحم المجفف والشاورمة اللحم المشوي بالنار والباصدرمة اللحم المجفف بالشمس والدندرمة المجمدة أو الجلاس وبابراق الورق وبورك ويخني وترلي واكمك قطايفي وامام بايلدي وخنة وجركس طاوغي « الديك الرومي » وشوال كيس ، بازار السوق والقشلاق من قشلق اي المشتى وكل اسم انتهى بخانة أوجي مثل جبخانة وكرخانة وخسته خانة ودوهجي وبازيجي وخانجي .

هذا مثال من الألفاظ الدخيلة أما الفصيح الباقي في الألسن على ما كان العرب يستعملونه فهو كثير وقد عرض لبعضه قليل من التحريف . فمن فصيحهم قولهم في زجر الغنم وغيرها من البهائم إذا أبعدت وطردت حايْ حايْ وحايْ حايْ وحاين حاين ويقال هذا اذا دعيت وأريد قربها ودنوها . وهكذا ينادون على غنمهم ومعيزهم وأبقارهم وحميرهم . ويقولون أيضاً هس لزجر الغنم وهقط زجر

للفرس وتخ تخ زجر للدجاج وسق سق زجر للثور وعاي لزجر الخروف والغنم والنخ قولك للبعير أخ أخ ليبرك تخنخه فتنخنخ والقرمشة صوت الخبز المقمر وفي الأصل صوت الجوز وقرقرت الدجاجة صوتت ودن الذباب صوت وطن ونقت الضفدع والدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه يقولون سمعته يدندن أي ينغم بحيث لا يفهم معناه · فلان ينود يرفع صوته بالشكوى من ناد ينود تحرك ومنه نودان اليهود في مدراسهم اي تحريك رؤوسهم وأكتافهم في بيت عبادتهم · وعندهم الزياط واللغط والخشخشة والحمحمة (صوت الفرس دون الصهيل) والنشنشة صوت المقلي والزقزقة والوقوقة والجعجعة والقرقرة (الضحك العالي حرفوها فقالوا كركرة) والبقبقة والغرغرة والولولة والرجرجة والخرخرة والوشوشة والثرثرة والفأفأة والتأتأة ·

ومن فصيحهم (البحرات) جمع بحرة وهي ما انخفض من الأرض وعندهم أرض تسمى البحرات (الحَسْيُ) سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وعندهم مستنقع يسمى الحُسَيُّ (بالتصغير) ومنهم من يلفظه بالصاد (الحير) البستان أو مجتمع الماء والمكان المطمئن وكلها تصدق على أرض في الغوطة تجمع هذه الصفات [الزور] الأرض البعيدة من الأرض الزراعية والأجمة ذات الحلفاء والقصب والماء وهم يطلقونها على حرم نهر بردى ويضمون زايها كما يطلقها الحمويون على حرم نهر العاصي ·

ومن فصحهم (الضيعة) (القرية) (الغيضة) (الروضة) (المرج) (الجنينة) (الحاكورة) (الحرجة) بالتحريك مجتمع الشجر الملتف ج حرج وحراج يقولون حرش وأحراش · ومنه حرث الأرض وعمرها وخربشها وخرمشها وقلبها وكربها وحفرها وسحاها وعزقها ونبشها ومهدها ·

ويقولون أنا محاذِه أي أرضي أو داري في حدود أرضه وداره · وفلان (لزيق ولزقي وبلزقي أي بجنبي) ومنه (القُلاَع) المدر يقتلع من الأرض يرمى بها (الكَدَرة) القلاعة الضخمة (الكذان) (البلاط) (الرخام) ومنه (العدان)

بالكسر والتشديد وهم يفتحون عينه ومعناه الزمان يطلقونه على اعطاء كل صاحب حق قسطه من الماء وعدنه تعديناً ·

(أطعم الغصن) وصل به غصناً من غير شجره كطعّمه (هاف الزرع) ذبل وذوى (أسبل الزرع) (أفوك الحب) (أقمح السنبل) (الباحور) شدة الحر في الصيف (الشمالة) الحزمة من الحنطة وهي طرية · (اطعمت الشجرة) ادرك ثمرها (اصمغت) صار لها صمغ · (نطف الحور) طلع من مكان آخر (النصبة) بفتح النون ما ينصب في الحقل من الغراس (السطمة) ما يغرس من عيدان الحور والصفصاف والخلاف · وفي المراجع السطم (بضم السين والطاء) الأُصول · (المَرُوشة) غرسة شجر الزيتون ولعلها من الامتراش اي الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى ·

ومن أمثالهم الفصيحة (نأنأ في الأكل) أكل أكلاً ضعيفاً (دهبل) كبر اللقمة ليسابق في الأكل يحرفون هذا الفعل فيقولون دعبل (البرطمة) غضب مع عبوس فلان مبرطم مغيظ (لطئ بالأرض) لزق (خب في الأرض) خاض (لزه على العمل) حثه عليه (دحس الثوب) في الوعاء أدخله يلفظونه بالشين كما يقولون الفرشخة وهو ان يقعد الانسان ويفتح ما بين رجليه يلفظونها بالشين وفصيحها بالسين · ويقولون (قلّمنا) يا فلان من هنا من قلمه حوله من موضعه اي هيا بنا نتزل مكاناً آخر (شاشت النفس) اضطربت كما يقال شاش البلد اضطرب (قب الجرح) اذا يبس وذهب ماؤه (قيّح الجرح) صار فيه القيح وهو الصديد · (بط القرحة) شقها (خنخن في كلامه) اذا تكلم من خياشيمه فهو أخن ويقولون له خن (زنأ البول) احتقن (أحّ الرجل) سعل (قرقف) رُعِد من البرد (قف الشعر) قام من الفزع (قفقف من البرد) اذا انضم وارتعد (أصن) سكت فهو مصن (وَدّر) الرجل أوقعه في مهلكة يقولون ودّر هذه القطة أي ألقها في محل لا تعود منه (حبق) متاعه جمعه وحبق المال أيضاً جمعه (هَبَش) لعياله اكتسب (دغر عليه) هجم (طمس على مال فلان) استحله من

أطمس على أموالهم أهلكها وفلان مطموس القلب ميته وعندهم يطلق على الجاهل الذي لا يتعلم (الفضفضة) سعة الثوب والعيش يقولون خذ هذه الدراهم تتفضفض بهـا أي تتسع بها وتقضي حوائجك (رحرحة) الثوب اتساعه وثوب مرحرح (خششتُ فيه) دخلت فقولهم خش يا فلان عربية الأصل (غلغل في الحقول) دخل وفي الفصيح تغلغل أيضاً (فلان يهت على فلان) يعيره أو يزق عرضه (فلان متعنفص) متصلف مزهو (الصقلب) شرك ينصبه ناصبه ليصرع من يريد صرعه من صقلبه صرعه . ويقولون أعطني قماشاً من (بابة) كذا أي من سعر كذا وهذا بابته أي يصلح له أو شرطه (قرط عليه الدراهم) اذا أعطاه منهـا قليلاً قليلاً أو حرمه (التجليط) الكذب من جلط (نوس) المصباح قلل من إضاءته (امرأة هطلى) كسلانة أخذوها من ناقة هطلى تمشي رويداً يقولون وقف الماء في (زراديه) والزردمة الغلصمة أو موضع الابتلاع (ثوب بايخ) متغير وحديث بايخ لا محصّل له (الرتوت) الرؤساء واحدها رت (ما في البيت تومري) أي أحد يقولون دومري (السرب) الجماعة من النساء والحيوان (الفوج ، الجوقة ، الجف ، الغوغاء ، الزمرة ، اللمة ، الأوباش ، الشرذمة) كل هذه أسماء معناها واحد وهو الجمع من الناس وهي دارجة في اللغة الدارجة (العزوة) (العصبة العصابة) واعتصبوا صاروا عصابة . هو (شرواك) مثلك هو يمشي مع (سبره) أي أقرانه والسبر الشبه والهيئة (العكرة) الفتنة والهوشة . أعطني (شويه) أي قليلاً وفي الفصيح ما بقي من الشاة الا شواية بقية يسيرة ، والشواية بالضم الشيء الصغير من الكبير . يقولون سقاني (نتفة) من اللبن أي شيئاً وهي ندفة في الفصيح . يقولون اللبن والحبُّ طيس أي كثير من طاس يطيس كثر (الصوبة) ما تجمع من الحنطة والتمر يقولون لهـا الصبّة (الشلية) بقية الماشية وعندهم الشلعة قطعة من الماشية (العزيب) الذي لا يروح الى أهله من الماشية . يقولون هذه الأرض عدية أي خالية من الوخم والوبالة وأصلها عذية من عذا البلد طاب هواءه (الطابونة) من طبن النار دفنهـا لئلا تطفأ وذلك الموضع

طابون والطابون فرن في الأرض وكانوا يستعملون الطوابنية للخبازة وقد أهملت اليوم كما أهملت (الشرائحية) باعة شرائح اللحم واستعاضوا عنهـا بالشوائين أو الشوابة وأهملوا (المقاصف) واستعملوا بدلها القهاوي والمقاهي واهملوا (النحيرة) واستعاضوا عنها بالمسلخ وأهملوا (البآس) واستعملوا بدلاً عنها القلي ثم استعملوا البوتاس وكانت لفظة (النقانقيين) شائعة يطلقونها على باعة النقانق أو المقانق وهي المصير المحشو باللحم وكذلك (الحلاويون) باعة الحلواء يقولون اليوم الحلوانيون واحدها حلواني ومن أمثالهم ما كل من صف الصواني قال أنا حلواني ٠

ورأينا بعض الفاظ المآكل وباعتها قد أهملت مثل الهرائسي بائع الهريسة والرآس بائع الرؤوس ويقال له الرواس وهو لحن الفقاعي بائع شراب من الحبوب والأثمار وغيرها سمي به لما يرتفع في رأسه من الزبد وكان يطلق في الشام على باعة نقيع الزبيب ٠ الاقسماوبون من الاقسما وهو شراب قد يجعل من الدبس ويثلج كالسويق قال الشهابي المنصوري :

أياسيداً قــد أشهد الله أنه أناب فلم يَحْسُ الشراب المحرما
هلم فإني لا إخـالك مقسما وان كنت لم تشرب مداما فأقسما

وأهملوا لفظة الشرابيين باعة الأشربة والفظ المثلث عصير العنب يطبخ قبل أن يغلي ويشتد حتى يذهب ثلثاه وكانت مستعملة في مصر في القرن الثالث واعتاضوا عن الطاهي بالطباخ أو العشي ٠ وأهملت الفاظ كانت تطلق على أمور بطلت في الاستعمال مثل سوق العطارين وكان أصحابها يبيعون فيهـا العطور فأطلقت على باعة البذور والسكر والأرز والأفاويه ومثل الأبارين والمسلاتيين صناع الابر والمسلات والمرادنيين صناع المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السامم أو السنط الأحمر والفاخرانيين صناع الزبادي والسلطانيات من الحصى المطحون والغضاريين باعة الكيزان والقزازين صناع القز وباعته والبزازين صناع البز أو القماش والبزوريين باعة البزور والسكريين باعة السكر والامشاطيين باعة الأمشاط والسدارين والبواردبين يطلقونها على من يصنعون الأمشاط

ويطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون والدلوك والأشنان والبوارد طعام البقول المطبوخة وكان فيها سوق الدباغين والصباغين والدقاقين والقماحين والناطفانيين (الناطف نوع من الحلواء) وسوق الخريزاتية الذين يخرزون الأواني وتناسوا لفظ الاقباعيين صناع الأقباع جمع قبع وهي الطاقية أو العرقية وكان في دمشق لكل من هذه الصناعات سوق خاص ومنها سوق الحرير وسوق القطن وسوق القشر (قشر القنب) وسوق القوافين من كاف الأديم يكوفه كوفًا كف جانبه وهو اعداد الجلد لعمل النعال ، قلبت كافها قافًا . ومنه سوق المناخليين باعة المناخل وصناعها وسوق الزرابليين صناع الزرابيل جمع زربول وسوق السروجيين صناع السروج وسوق النحاسين وسوق الحدادين وسوق القصاعين باعة القصاع ومنها سوق الزنوطيين وفي معجم دوزي أن زنوط لغة مصرية معناها الطاقية وان كانت من زنط جمع زنط فمعناهـا السيور والسياط وسوق القلباقجية والقالباق من أكسية الرأس التركية والدماجية صناع الديما وهي أثواب تعمل من الغزل ولا يزال سوق الخيل وسوق الجمال وسوق الغنم وسوق البقر وسوق الحمير بالطبع ويقال لمخزن الحطب الشونة وهي مصرية ويضمون شينها وكانت لهم أسواق بحسب أيام الأسبوع فسوق الجمعة وسوق الأحد وسوق الثلاثاء تباع فيها أصناف المأكول والملبوس ، فمن هذه الألفاظ ما بطل استعماله بابطال ما كان يطلق عليه وباختراع ما اغنى عنه وعن اسمه . ولكل عصر الفاظه كما ان لكل عصر ادبه . فبعض الالفاظ التي راجت في القرن الثالث والرابع نُسيت في القرن السابع والثامن وما راج في هذين القرنين نسي في العاشر وما بعده . فألفاظ عهد المماليك في مصر غير الفاظ الترك بعدهم فقد كانوا مثلاً يستعملون كلمة التقليد والتصرف فأبدلوهما بالتولية ثم بالتعيين والنصب والاستخدام وكانوا يستعملون لفظ القماحين والدقاقين ويقولون اليوم تجار الحبوب والطحانة . والفاظ مصر زمن المماليك وحدها تحتاج الى مبحث خاص برأسه . ومن نظر نظراً خفيفاً في الألفاظ في كل قطر عربي لا يلبث أن يرى ان ما كان شائعاً في

العراق لم يشع في الشام ومصر وما كان في مصر لا يعرفه الغرب الأقصى ولا الأندلس من قبل ·

وفي كتب الحسبة ، وبعضها الى الآن لم يطبع ، كثير من الألفاظ دونت المعاجم بعضها ولا نستعملها اليوم نسقط على نموذج منها في كتاب نشوار المحاضرة للمحسِّن التنوخي وفي كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي · منها (البزبون) ضرب من نسيج البزاومن رقيق الديباج (المطبق) كمحبس السجن تحت الأرض (الفامي) بائع الفوم اي الحنطة والحمص وسائر انواع الحبوب التي تخبز · (الزيرباج) أكلة بلحم وحمص وخل وسكر ولوز (البزماورد) طعام من اللحم والبيض (العصيدة) دقيق يلت بالسمن ويطبخ · ومنها (المطالب) الكنوز (البذرقة) الخفارة (الفيج) رسول السلطان ··· الخ · وهذه الألفاظ تتطلب درساً خاصاً كما تتطلب ما أكل العرب في الجاهلية وما أكلهم في الاسلام دراسات أخرى · وأطعمة العرب ما تعدت الألبان والتمور واللحوم تقل فيها الخضراوات والبقول وكلها بين مطبوخ وملتوت وملبون ومتمور ومسمون ومعسول ·

سادتي :

أوردت مثالاً ضئيلاً من أشغال هذا المجمع الفتي وذلك بقدر ما يتسع له الوقت وأرجو ألا أكون ادخلت الملل على نفوسكم أعاننا المولى على القيام بواجبنا في خدمة لغتنا المحبوبة وحياكم وأحياكم ·

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

- ٢ -

٦ — فلسفة أبي الهذيل

إن أبا الهذيل فيلسوف معتزلي ، وافق أهل الاعتزال في فلسفتهم العامة ، وانفرد عنهم في مسائل خاصة .

أما فلسفة الاعتزال العامة التي وضع مبادئها واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل وغيرهم من أهل الاعتزال ، فتنحصر في أصول خمسة هي : القول بالتوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، ووجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقول بالتوحيد انما وضع للرد على الرافضة والمجسمة . وفيه ان الله واحد لا شريك له من أي جهة ، ولا كثرة في ذاته . وهو قديم عالم لذاته ، قادر لذاته حي لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به . وهو خالق الجسم وليس بجسم ، محدث الأشياء وليس كالأشياء ، منزه عن المخلوق ، لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والقول بالعدل وضع للرد على المجبرة من الجهمية والرافضة . وفيه ان الله تعالى حكيم عادل لا يجوز ان يضاف اليه شر وظلم ، ولا يجوز ان يريد من عباده خلاف ما يأمرهم به . وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يريد ظلماً للعالمين . وأفعال العباد من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية منسوبة اليهم ، يفعلونها بقدرة خلقها الله فيهم . ويستحيل ان يقول الله لعبده افعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل ، بل العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والقول بالوعد والوعيد انما ذهبوا اليه لاعتقادهم ان الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته ، فلا يغفر عن كبيرة إلا بعد التوبة فاذا خرج

المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . فصاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق ، ولا بكافر مطلق ، لكنه في منزلة بين المنزلتين ، لأنه فاسق . والفسق حال متوسطة بين الكفر والايمان [١] .

وأما وجوب المعرفة بالعقل فيرجع الى ان الانسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع ان يعرف الحسن ويعتنقه ، ويدرك القبيح ويجتنبه . وما ورود التكاليف إلا ألطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة .

واما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضمن تكليف المؤمنين الجهاد ، واقامة حكم الله على كل من خالف أمره او نهيه سواء أكان كافراً أم فاسقاً .

لقد ذهب ابو الهذيل العلاف كغيره من المعتزلة الى هذه الأصول الخمسة ، وانفرد عن أصحابه بآراء خاصة في حقيقة الأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والسكون ، والصفات الإلهية ، والقدر ، والنفس الانسانية ، وحركات أهل الجنة والنار ، ونعيمهم ، وعذابهم ، والطاعة ، والاستطاعة ، والخلق ، والآجال ، وشروط الحجة عن طريق الأخبار وغيرها .

ان نظرة بسيطة الى هذه المسائل تدلنا على ان الاحاطة بها تحتاج الى عدة مقالات . فلنقتصر اذن في مقالنا هذا على بحث المسائل الرئيسية فقط .

من المسائل الرئيسية التي بحثها ابو الهذيل مسألة الصفات الإلهيـة . فقد كان بعض المتكلمين ممن تقدم ابا الهذيل يقولون ان الله عالم وعلمه قديم . وكان

---

(١) راجع كتاب الانتصار للخياط ص — ١٢٦ . قال الخياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

أما نحن فقد جمعنا القول بالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين في أصل واحد . واعتبرنا القول بوجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع أصلاً خاصاً لما للعقل في نظر المعتزلة من أثر عميق في التمييز بين الخير والشر والعقاب والثواب . وراجع أيضاً كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

بعضهم الآخر يقول ان الله عالم لذاته لا بعلم . فكان قول الفريق الأول يؤدي الى القول بتعدد القديم ، وكان قول الفريق الثاني يؤدي الى نفي العلم ونفي غيره من الصفات عن الذات الالهية . فذهب ابو الهذيل في هذه المسألة الى رأي متوسط بين الرأيين السالفين فقال : ان الله تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته . اي ان علم الله تعالى هو هو ، وكذلك سمعه وبصره وحكمته . فهو يرى اذن ان الصفة هي عين الذات . والفرق بين قولنا ان الله عالم لذاته لا بعلم ، وبين قولنا عالم بعلم هو ذاته ، اننا في القول الأول ننفي عن الله صفة العلم ، وفي الثاني نثبت ذاتاً هي بعينها صفة ، أو نثبت صفة هي بعينها ذات . وكان أبو الهذيل اذا قيل له حدثنا عن علم الله الذي تقول انه ذاته . أتزعم أنه قدرته أيضاً ، أبى ذلك . فاذا قيل له ، فهو غير قدرته ! أنكر ذلك أيضاً . ويظهر ان ابا الهذيل لم يذهب الى هذا القول الا لرغبته في الابتعاد عما وقعت فيه الرافضة من التجسيم ، وما أدى اليه قول بعض المتكلمين من تعدد القديم . فقد كانت المجسمة تعتقد ان ربها ذو هيئة وصورة ، يتحرك ويسكن ، ويزول وينتقل ، وانه كان غير عالم ، ثم علم ، وانه يريد الشيء ثم يبدو له سبب آخر فيريد غيره . وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه ان هشام ابن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء . فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ويقوم أخرى . وانه طويل عريض . لأن ما لم يكن كذلك في زعمه دخل في حد التلاشي . قال فقلت له فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومأت الى أبي قبيس فقال هذا الجبل أعظم منه . وذكر ابن الروندي أيضاً ان هشام ابن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لو لا ذلك ما دلت عليه . فهذه الملاحظات وغيرها ساقت ابا الهذيل الى القول بالتجريد ، فنفى عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ، وأثبته واحداً ليس بجسم ولا بذي هيئة ولا صورة ولا حد ، وانه ليس كمثله شيء . وأبو الهذيل يسمي العلم والقدرة والحياة وجوهاً ثلاثة للذات الالهية . وهذه الوجوه الثلاثة التي اقتبسها ابو الهذيل من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة شبيهة بأقانيم المسيحية .

قال أبو الهذيل : ولقولي هذا نظائر عند أهل التوحيد . انهم بأجمعهم يقولون ان وجه الله هو الله . وقد فسد ان يكون لله وجه هو بعضه أو وجه قديم هو معه . فلم يبق الا ان يكون وجهه هو ذاته كما يقال هذا وجه الأمر، وهذا وجه الرأي . وهذا الأمر نفسه، وهذا الرأي نفسه . على ان ابا الهذيل قد نفى العلم من حيث اوهم أنه أثبته، لأنه لم يثبت في النهاية إلا الذات الالهية، وكان اذا قيل له : فلم اختلفت الصفات فقيل عالم، وقيل قادر، وقيل حي، قال لاختلاف المعلوم والمقدور . ويرى ابو الهذيل ان السمع والبصر صفات ازلية، فالله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى انه سيسمع وسيبصر : وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً، خالقاً رازقاً، مثيباً معاقباً، موالياً معادياً، آمراً ناهياً، بمعنى ان ذلك سيكون منه . وكان سهلاً عليه ان يؤول هذه الصفات تأويلاً ينفي عنها الصفة الحسية، لأنه كان يعتبر السمع والبصر من اعمال الروح، لا من اعمال الحواس .

وقد ساقته نظرية الصفات هذه الى القول بارادات لا محل لها، يكون الله تعالى مريداً بها . فارادة الله لكون الشيء هي غير الشيء المكوَّن . وارادته للايمان هي غير الايمان والأمر به . ففرق على هذه الصورة بين الارادة والشيء المراد، كما فرق بين الارادة الخالقة والارادة الشارعة . فارادة الخلق هي الخلق بذاته، وهي تختلف عن المخلوق لأنها ليست في مكان . ثم انه ذهب في تقسيم كلام الباري تعالى الى ما ذهب اليه في تقسيم الارادة . فقال هو قسمان احدهما يحتاج الى مكان، والآخر لا يحتاج الى مكان . فكلمة الخلق . وهي قول الله للشيء «كُنْ» هي عين الخلق . وهي ليست في مكان، وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً ولا يقول له كُنْ . فكأن كلمة التكوين، كما قال بعض الفلاسفة، في المكان الاوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق . او كأنها جوهر شبيه بالمثل الأفلاطونية . أو عقول الأفلاك التي أشار اليها الفارابي وابن سينا في صدور الأشياء عن المدبر الأول . أما سائر كلام الله من أمر ونهي وخبر واستخبار، فهو في مكان، لأن أمر التكليف غير أمر التكوين . فكلمة الخلق

ليست بمخلوقة ، أما الكلام المشتمل على الأوامر والنواهي والوحي فهو مخلوق ، لأنه عرض من الأعراض . وهذا يدل على ان أمر التكليف مقصور على العالم الفاني . لا يخضع الانسان لأحكامه إلا في هذه الحياة . وهو يقتضي القول باختيار الانسان ، وحريته ، وبقدرته في هذا العالم على فعل ما يختاره من الخير والشر . اما في العالم الثاني ، فيفقد الانسان حريته واختياره ، ويرجع كل شيء فيه الى إرادة الله . لذلك قال الشهرستاني : ان ابا الهذيل قدري الدنيا جبري الآخرة . وفي الجنة والنار تكون حركات الانسان ضرورية لا قدرة له عليها . فهي مقيدة وليس لأحد قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول . والله خالق فيها اقوال العباد وحركاتهم . فالدنيا دار عمل وأمر ونهي ومحنة واختيار . والآخرة دار جزاء واضطرار . ولو كان أهل الجنة يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها ، لكانوا مأمورين منهيين ، ولو وقعت منهم الطاعة والمعصية . ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي ، لا دار ثواب ، وكان سبيلها سبيل الدنيا ، ولوقع ثواب أهلها في دار سواها ، ولتسلسل الأمر الى ما لا نهاية له .

ويرى ابو الهذيل ان حركات أهل الجنة والنار لا تبقى ، بل تنتهي بانتهاء العالم ، وتنقلب الى سكون دائم . لأن ما له ابتداء لا بد من أن يكون له انتهاء . وفي هذا السكون الدائم تجتمع اللذات كلها لأهل الجنة ، ويجتمع العذاب كله لأهل النار . وهذا قريب من مذهب جهم بن صفوان اذ حكم بفناء الجنة والنار . قال الأشعري في مقالات الاسلاميين : «أجمع أهل الاسلام جميعاً الا الجهم ان نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهم بن صفوان ان الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما ، حتى لا يبقى الا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه»[1] .

وقال البغدادي في كتاب «الفرق بين الفرق» : ومذهب ابي الهذيل في ذلك شر من مذهب جهم ، لأن جهماً ، وان قال بفناء الجنة والنار ، فقد قال : ان الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم ان ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن ، او احياء ميت ، أو احداث شيء .

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٤٧٥

وظاهر ان رأي ابي الهذيل ، في سكون حركات أهل الجنة والنار ، لا يستند الى اي أساس ديني ، بل يرجع الى رأيه في تناهي الحركات . فالحركة عنده تنقسم في الجسم على جميع أجزائه ، وما يجوز على الأجسام يجوز أيضاً على الجوهر الواحد ، والجزء الذي لا يتجزأ . ولكن ما هو الجسم . قال ابو الهذيل :

«الجسم هو ما له يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل . وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء احدهما يمين والآخر شمال ، وأحدهما ظهر والآخر بطن ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، وان الجزء الواحد الذي لا يتجزأ يماس ستة أمثاله . وانه يتحرك ويسكن ، ويجامع غيره ، ويجوز عليه الكون والمماسة ، ولا يحتمل اللون والطعم والرائحة ، ولا شيئاً من الاعراض غير ما ذكرنا ، حتى تجتمع هذه الستة الأجزاء ، فاذا اجتمعت فهي الجسم ، وحينئذ يحتمل ما وصفنا» [1]

فالجسم إذن منقسم وهو يحمل الاعراض كاللون والطعم والرائحة والحركة . وليس كل جوهر جسماً ، بل الجوهر الواحد الذي لا ينقسم محال ان يكون جسماً ، لأن الجسم هو الطويل العريض العميق . وليس الجوهر الواحد كذلك [2]

«واختلف الناس في الجسم هل يجوز ان يتفرق أو يبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ أم لا يجوز ذلك ... فقال ابو الهذيل : ان الجسم يجوز ان يفرقه الله سبحانه ، ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ ، وان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض له ولا عمق له ، ولا اجتماع فيه ولا افتراق ، وأنه قد يجوز ان يجامع غيره وان يفارق غيره ، وان الخردلة يجوز ان تتجزأ نصفين ثم اربعة ثم ثمانية الى ان يصير كل جزء فيها لا يتجزأ» [3]

فالله يستطيع اذن ان يبطل ما في الجسم من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ . ويستطيع ان يفرد الجزء الذي لا يتجزأ فتراه العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له .

والاعراض هي الحركات والسكون والقيام والقعود والاجتماع والافتراق والطول

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٣٠٢ (٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٥

والعرض والألوان والطعوم والأرابيح والأصوات والكلام والسكوت والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة . فبعضها يجوز على الجسم والجزء الذي لايتجزأ معاً ، وبعضها لايجوز إلا على الجسم ، فالحركة مثلاً تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ ، أما اللون والطعم والرائحة فلا تجوز إلا على الجسم . قال ابو الهذيل :

والاعراض قسمان « منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى . والحركات كلها لا تبقى . والسكون منه ما يبقى ومنه ما لا يبقى . وسكون أهل الجنة سكون باق ، وكذلك أكوانهم ، وحركاتهم منقطعة منقضية لها آخر »[1] .

وقال أيضاً : ان الألوان والطعوم والأرابيح والحياة والقدرة تبقى كلها ، وكذلك اللذات والآلام . فآلام أهل النار باقية فيهم ، ولذات أهل الجنة باقية فيهم .

فالحركات اذن في نظر ابي الهذيل تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ وهي مع ذلك لا تبقى ، اما الألوان والطعوم والأرابيح فلا تجوز الا على الجسم وهي مع ذلك تبقى بعد انتهاء العالم . فهناك اذن أعراض موجودة لا في جسم ، ويجوز أيضاً ان تعاد . أما الحركات والسكون وما يتولد عنها كالتأليف والتفريق والأصوات وسائر ما يعرف الناس كيفيته فلا يجوز ان يعاد .

فالسبب إذن في قول ابي الهذيل بانتهاء حركات أهل الجنة والنار يرجع إذن الى رأيه في حقيقة الأجسام والحركات وبقاء الاعراض وانتهائها . قال اني لا أقول بحركات لا تتناهى آخراً ، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً ، ونسي أن ما لزمه في الحركة يلزمه أيضاً في السكون . اضف الى ذلك ان قوله بانقسام الاعراض الى قسمين أحدهما يبقى والآخر لا يبقى لا يستند الى أي أساس معقول .

فأبو الهذيل قد قال اذن ببقاء الاعراض التي لا تجوز الا على الجسم ، وبعدم بقاء الحركات رغم جوازها على الجسم وعلى الجزء الذي لا يتجزأ معاً .

(١) لاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٣٥٩ . قال أبو الهذيل : « يجوز أن يتحرك الجسم لا عن شيء ولا الى شيء » . المصدر نفسه ٣٢٣ . وقال أيضاً : « الأجسام قد تتحرك في الحقيقة ، وتسكن في الحقيقة ، والحركة والسكون هما غير الكون ، والجسم في حال خلق الله سبحانه له لا ساكن ولا متحرك » المصدر نفسه ٣٢٥ .

ولو قال بفناء الدنيا والآخرة ، كما قال الجهم ، لما وقع في هذه الشبهة ، ولاستغنى عن هذا السكون الدائم الذي قلب أهل الجنة والنار الى أصنام جامدة في مدينة مسحورة .

ومع ذلك فان لرأي ابي الهذيل في انتهاء حركات أهل الجنة والنار خطورة عظيمة ، لأنه كان كما قال الشهرستاني قدري الدنيا جبري الآخرة . فالانسان في نظره قادر على خلق أفعاله في هذه الدنيا لأنه حر . أما في الآخرة فانه يصير مقيداً بالحالة التي انتهى اليها . والمشهور عن الفلاسفة الأقدمين أن النفس تشارك الجسد في أفعاله وانفعالاته ما دامت مقيدة به ، وان حريتها مقيدة في هذا العالم بما يصل اليها عن طريق الجسد من الاحساسات والأفكار والعواطف ، اما اذا فارقت الجسم فانها تعود الى العالم الأرفع ، وتمزق سلاسل المادة وقيود الزمان والمكان وتصير حرة طليقة . أما ابو الهذيل فقد ذهب في ذلك مذهباً مخالفاً لآراء المتقدمين ، وزعم ان النفس حرة في الدنيا مقيدة في الآخرة . وفي هذا الرأي فكرة عميقة تدل على قوة ابداعه ، وشدة حدسه . الا انها تحتاج رغم ذلك الى مقدمات برهانية لم نعثر عليها فيما وصل الينا من أفكاره .

ويرى أبو الهذيل ان في الانسان علماً فطرياً يؤدي بالضرورة الى معرفة الله ، فمن واجبه ان يعرف الحق ، وان يميز الخير من الشر بعقله الطبيعي ، من غير خاطر ولا وحي . وان قصر في هذه المعرفة استوجب العقوبة . وعليه أيضاً ان يفهم حسن الحسن وقبح القبيح ، وان يقدم على الحسن كالصدق والعدل ، وان يعرض عن القبيح كالكذب والجور . والله يثيب كل محسن على قدر طاعته وصدقه وعدله . ويعاقب كل مسيء على قدر معصيته وكذبه وجوره . فهناك اذن طاعات من الخلق لا يراد الله بها ، وليس على وجه الأرض دهري زعم انه لا رب ولا خالق ، ولا ثواب ولا عقاب ، الا وهو مطيع بضرب من الطاعات . فهو عاص بدهريته ، ولكنه مطيع بما يقدم عليه من الخير ، كما ان المؤمن مطيع بايمانه ، عاص بما قد يقدم عليه من الشر .

ومسؤولية الانسان تتوقف على معرفة اللحظة التي يوجد فيها الفعل . ولا تكون المسؤولية تامة الا اذا كان الفعل تام الحدوث . لذلك فرق ابو الهذيل بين افعال القلوب وأفعال الجوارح ، اي بين الأفعال النفسية والأفعال الطبيعية . فقال ان حال (يفعل) هي غير حال (فعل) . والمسؤولية لا توجد في أفعال القلوب الا اذا وجدت الاستطاعة مع الفعل . أما في أفعال الجوارح فقد تتقدم الاستطاعة على الفعل ، فاذا لم يتم الفعل الا بعد موت الفاعل او عجزه كان الفعل منسوباً اليه لا إلى غيره ، ويمكن ان يقال مجازاً ان الموتى يقتلون الأحياء . فالارادة لا توجد اذن تامة الا اذا كانت الجوارح قادرة على تنفيذها ، ولا يكون العمل اختيارياً الا اذا قام الانسان به من غير قسر . قال ابو الهذيل : « الاستطاعة يحتاج اليها قبل الفعل . فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه . وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ، ويكون عجزاً عن فعل ، لأن العجز لا يكون عجزاً عن موجود . فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة » [1] .

وهذا يدل على أن أبا الهذيل قد جوز الفعل مع الموت بالاستطاعة المتقدمة . كما جوز أقل قليل الكلام مع الخرس ، ولم يجوز وجود العلم مع الموت ، ولا وجود الارادة مع الموت . وقد حكي عنه انه كان ينكر أن توجد الارادة بقدرة معدومة حتى يكون العجز مجامعاً لها . [2] والانسان انما يفعل في غيره الأفعال بالأسباب التي يحدثها في نفسه . فلو رمى انسان انساناً بسهم ثم مات الرامي قبل وصول السهم الى المرمي ، ثم وصل السهم الى المرمي فآلمه وقتله ، لحدث القتل والألم بعد موت الرامي بنفس السبب الذي أحدثه الرامي وهو حي .

وقد فرق ابو الهذيل بين الأمور التي يقدر الله عباده عليها ، وبين الأمور التي لا يقدرهم على فعلها . فالحركات والسكون والأصوات والآلام وسائر ما نعرف كيفيته هي من الأمور التي يقدر الله عباده عليها . أما الاعراض التي لا نعرف كيفيتها كالألوان والطعوم والأرابيح والحياة والموت والعجز والقدرة ،

(١) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٢٣٢ (٢) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٣١٣ .

فليس يجوز ان يوصف الباري بالقدرة على ان يقدر عباده عليها . والله لا يوصف بالقدرة على شيء تقدر عليه عباده ، لأنه محال ان يكون هناك مقدور واحد لقادرين . فأفعال الانسان لا تشبه أفعال الباري بوجه من الوجوه . والله يضطر عباده في الآخرة الى صدق يكونون به صادقين وكلام يكونون به متكلمين ، ولكنه لا يضطرهم الى كفر يكونون به كافرين وجور يكونون به جائرين . وهو قادر على الظلم ، الا انه لا يفعله لحكمته ورحمته . ومحال ان يفعل شيئاً من ذلك ، أن قدرته مقيدة بعدله ورحمته وحكمته .

٧ — النتيجة

هذه لمحة سريعة من آراء ابي الهذيل في التوحيد ، وحركات اهل الجنة والنار ، والأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والجواهر والاعراض ، والعلم ، والمسؤولية ، والاستطاعة ، والعدل ، ناظر فيها كثيرين من أقرانه كبشر بن المعتمر والأصم وهشام بن الحكم والنظام كما ناظر المجوس والثنوية واصحاب النجوم والدهرية .

ولا حاجة الى القول ان أبا الهذيل قد ابتعد بآرائه هذه عن اجماع المسلمين ، فتصدى للرد عليه كثيرون من أهل الحديث وعلماء الكلام ، الذين لم يروا رأيه ، ولا قالوا بمقالته فوضع (المردار) كتاباً في الرد عليه سماه « فضائح أبي الهذيل » ، والف الجبائي كتاباً في الرد على ابي الهذيل في المخلوق ، وصنف جعفر بن حرب كتاباً سماه « توبيخ أبي الهذيل » كفره فيه . وذكر ان قوله يجر الى الدهرية . وقد كان لهذه الردود أثر عظيم في شهرة أبي الهذيل حتى قال المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الأنام . وقال الفضل بن العميد ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة . أما الفقه فعلى ابي حنيفة ، وأما الكلام فعلى ابي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ . وكان ابو علي الجبائي يقول ليس بيني وبين ابي الهذيل خلاف الا في أربعين مسألة . وما كان في الدنيا بعد الصحابة اعظم عنده من أبي الهذيل .

ويظهر أن اباالهذيل كان في مناظراته أشبه برؤساء الأحزاب والخطباء والمحامين منه بالفلاسفة الهادئين ، الذين يسيرون على منهج علمي واضح دقيق . وطريقة هذا شأنها تدخل على أسلوب العلم شيئاً من الضعف والتردد والعدول عن سواء السبيل . وكل فلسفة تقوم على أساس الجدل والمناظرة ، تكون مسائلها مقيدة بآراء المخالفين . ومن نازل عدواً قوياً اضطر الى التقيد بشروط قتاله ، وتقلب أحواله ، واتباع حركاته وسكناته ، وقيامه وقعوده . وقد تؤثر فيه روح العدو وحيلته ، فتبدل خطته وغايته . ومعركة الأفكار لا تختلف من هذه الناحية عن معارك الرجال . بل كثيراً ما يكون تأثير العدو في تكوين الأفكار أقوى من تأثير الحليف . وفرق بين ان يبني الانسان بيته بنفسه وفقاً لخطط معقول ، وبين ان ينشئه وفقاً لما تقتضيه الحاجة العملية المباشرة . وفرق بين ان يكون الفكر مستقلاً في وضع المسائل وتأليفها ، وبين ان تكون مسائله تابعة للعناصر المقتبسة من آراء المخالفين . ففي أعمال المدافعين أمور كثيرة لا بقاء لها . وينبغي ان تزول بزوال أسبابها ، وان تهجر ويستبدل بها غيرها ، وان يؤتى بما هو احسن منها وأصوب . وربما كان ابو الهذيل غير بريء من ذلك ، حتى لقد أدرك هو نفسه ان آراءه قد جرته الى الخروج على الاجماع . وان كثيرين من الملحدين قد تعلقوا عليه بها . فتاب من الكلام فيهـا قبل موته . ولعله لم يتب من الخوض فيها الا بعد ان أدرك خلافة المتوكل ، وكف بصره ، وخرف في آخر عمره ، وقصر عن مناضلة المناظرين . ومهما يكن من أمر فان ابا الهذيل قد مهد السبيل بجدله لظهور الفلسفة في الاسلام ، فخدم الاسلام ، عن طريق الجدل والمناظرة اكثر مما خدمه القواد عن طريق الفتح ، حتى لقد أسلم على يده ثلاثة آلاف رجل . وكانت فلسفته أقرب إلى روح الاسلام من آراء الفلاسفة المشائين ، الذين أخذوا آراءهم عن أفلاطون وأرسطو . وكان في دفاعه عن الاسلام يعمل على نشر الدعوة العربية ويؤيد سياسة الخلفاء العباسيين في التخلص من سيطرة الفرس . وكانت نيته في عمله صادقة ، والنية هي ميزان العمل . وانما الأعمال بالنيات .

٨ — المصادر

آ· حياة أبي الهذيل

١ — الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ، ص ٣٦١ — ٣٦٧ — ٣٧٠
٢ — ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٨٠
٣ — ياقوت ، الارشاد ، ج ٣ ، ٧٤ ، ١
٤ — الجاحظ ،البيان والتبيين ج ١ ،ص ٧٨ في الهامش عن النظام ـ ج ١ ،ص ١٠٤ في الهامش في ترجمة بشر بن المعتمر ـ ج ١ ،ص ٥٠ في ترجمة صالح بن عبد القدوس .
٥ — الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ج ١ — ص ١١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
٦ — العسقلاني ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤١٣
٧ — المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠٢
٨ — ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨
٩ — ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٥٣
١٠ — كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لاحمد بن يحيي المرتضى ، ص ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ . طبعة دائرة للعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ .
١١ — محمد بن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، جزء ٦ ، ص ١٢٠ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧ .
١٢ — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، طبعة دار الكتب المصرية .
١٣ — ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، جزء ٢ ، ص ٩٠ ، مصر ١٩٤٢
١٤ — صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، كتاب نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٧٧ — ٢٧٩ . مصر ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .
١٥ — أمالي السيد المرتضى ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ، ١٢٤ .
١٦ — ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥٥ ، ٢٥٥ ، الملحق ص ١ ، ٣

١٧ — الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٥٤٧ .
١٨ — الغرر والدرر ، ١٢٤
١٩ — روضات الجنان ، ١٥٨
٢٠ — تاريخ العيني لسنة ٢٢٦
٢١ — المنتظم لابن الجوزي ، ٩٨١
٢٢ — طبقات المعتزلة لقاضي القضاة ، وهو ابو الحسن عبد الجبار بن احمد ابن عبد الجبار الهمذاني الاسترابادي .
٢٣ — منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال تأليف ميرزا محمد الاسترابادي مع تعليقات محمد باقر البهبهاني ، طبع بالحجر بطهران سنة ١٣٠٧
٢٤ — قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي ٤٦٠ .

ب - فلسفة أبي الهذيل

١ — الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . عني بتصحيحه هـ . ريتر ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٢٩
٢ — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ ، ٨٤ ، ٢٠١ ، مطبعة المعارف ، مصر
٣ — دائرة المعارف الاسلامية ، « ابو الهذيل العلاف » .
٤ — الخياط ، كتاب الانتصار ، ص ١٧ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٧٩
٥ — الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص ٨٨
٦ — فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤١
٧ — الشهرستاني ، الملل والنحل ١٨ ؛ ٣٤ .
٨ — صوان الحكمة ، لظهير الدين البيهقي ، ٩٦٦ .
٩ — دي بوئر ، تاريخ فلاسفة الاسلام .
١٠ — الايجي ، المواقف .
١١ — Carra de Vaux - Avicenne , p. 21 24
١٢ — Les penseurs de l'Islam

جميل صليبا

أقرب الموارد

— ٢ —

ت ج ر — قال في جمع التاجر تَجْر وضبطها بالشكل فتحاً وكسراً والصواب فيها الفتح وجاء فيها تُجر بالضم ولعلها جمع تِجار وأما الكسر فلم أرَ أحداً نصّ عليه .

ت ر ز — وقال ترز (ن . و ل) تروزاً غلظ ويبس أي أنها من بابي علم ونصر . والصواب أنها من بابي علم وجلس . تَرِزَ تَرْزاً وتَرَزَ يَتْرِزُ تروزاً .

ت س ع — قال تَسَعهم أخذ تِسْع أموالهم . هكذا كَسَر التاء والصواب ضمها وقال التاسوعاء اليوم التاسع من الشهر . هكذا أطلقه . مع أنه خاص بالمحرم من الشهور وهو قبل يوم عاشوراء ، قال صاحب الصحاح . وأظنه مولداً . وليس الأمر كما ظنه لأنها وردت في الحديث الشريف عن النبي المصطفى أفصح الخلق وأعرفهم بأنواع الكلام .

ت ع ع — وقال تعَّ ن تعّاً وتعة استرخى . فجعله من باب نصر مع انه مضاعف ثلاثي لازم والقياس في مثله باب ضرب ولم يذكره في الشواذ احد من الأئمة .

ت ل ل — وقال تلّ الرجل اليه تضرّع . هكذا بالضاد المعجمة . وفي اللسان تلّ هو يَتِلُ تصرع (هكذا بالصاد المهملة) وتلّه للجبين صرعه كما تقول كَبَّه لوجهه والمَتَلُّ بفتح الميم المصرع وبكسرها الذي يُتَلُّ به أي يُصرع والمُتَلّ الصريع كالمتلول والتليل .

ت و ج — وقال التُوَّجي الصقر المنسوب الى تُوّج (الخ) هكذا ضم التاء في كل ما جاء به منها في هذه المادة والصواب فتح التاء ووزَنها صاحب القاموس بِبَقّم ونصّ على ان هذا وزن للأفعال ولم يرد منه للأسماء غير بَقَّم وتَوَّج واسماء أخر .

ث ب ب — جعل ثب ثباباً من باب نصر وهو من باب ضرب قياساً وسماعاً .

ث ب ر — وقال ثبرَ البحر : زَجر وصوابه جزر من الجزر ضد المدّ .

ث ج ج — وقال ثجّ الماء والدم ثجًا وثجوجًا : سال فجعلها من باب نصر وهي من باب ضرب ان كان الماء مفعولاً (أي متعدية) ومن باب ضرب اذا كان الماء فاعلاً (أي لازمة) وكان عليه أن يفصل ذلك ٠

ث د ن — وقال : انه مُثدّن اليد أي مُخدّج ٠ هكذا بالتشديد والصواب مُثدَن ومُخدَج ٠ قال في اللسان ٠ قال ابن بري هو اسم مفعول من اثدنت الشيء اذا قصرته والمُثدَن الناقص الخلق وقيل مُثدن اليد مُخدج اليد ٠ وأما المثدّن بالتشديد فهو المسترخي اللحم الكثيره ٠

ث ر د — وقال الثَرَد بالتحريك المطر الضعيف وتشقق الشفتين ٠ ونص القاموس انه بالتحريك لتشقق الشفتين وبالتسكين للمطر ٠

ث ر ن — وقال ثَرِن : أزى صديقه وجاره ولكن عبارة التهذيب كما اوردها صاحب اللسان ثَرِن الرجل : آذى صديقه أو جاره ٠

ث غ ى — وقال الثغية: الجوع والاثغار يقال أصاب الحي ثغية اي جوع واثغار ونص اللسان قال ابن سيدة في المعتل بالياء الثغية الجوع واقفار الحي ٠

ث ف ل — وقال : ثفل الرحى وزان حِمْل ثِفالها ولكن القاموس نص على انها بالضم أي وزان قفل ٠

ث ل ب — جعل من لغات الإثلِب الإِثلَبُ ٠ أي بكسر ففتح وهذه ليست هي من لغاته وانما ذكروا فيه لغتين فتح الهمزة واللام معًا وكسرهما معًا والفتح أكثر وأظنه توهم من عبارة القاموس وهي قوله (الأثلَب ويكسر) ان الكسر للهمزة خاصة وليس كذلك بنص اللسان ٠

ث ل ع — وقال ٠ المَثلَع : المشدّخ من البسر وغيره — هكذا وزان مقتل وصوابه المُثَلَّع كمعظَّم ٠

ث ل ل — وقال ٠ ثَلّة البئر ما اخرج من ترابها ج ثِلَل أي بكسر الثاء وزان عنب وفي القاموس وزان صُرَد (نصًّا) ٠

ت ن ث ل — وقال تنثل تعذّر ٠٠٠ وصوابه تقذّر ٠٠٠

ج أ ب — استشهد بقول الشاعر :

تعرّض جأبة المِدْرى خذولٌ بصاخة في اسرتها السلام

فضبط خذول بالرفع مع أنها صفة لجأبة المجرورة بالاضافة وحقها الجر ثم ضبط صاخة بالخاء المعجمة وهي صاحة بالحاء المهملة كما في اللسان وفي التاج وفسراها بأنها جبل ·

ج ب أ — وقال : الجباء طرف قرن الثور فجاء به كسحاب وصريح التاج انه كشدّاد ·

ج ث ث — وقال : الجثة شخص الانسان قاعداً أو قائماً · والصواب او نائماً وفي اللسان الجثة شخص الانسان قاعداً أو نائماً وقيل جثة الانسان شخصه متكئاً أو مضطجعاً ... فأما القائم فلا يقال جثته انما يقال قِمّته وفي التاج انما يقال قامته [1]

ج ح ر — وقال : خرج عليه حية من جحرها · هكذا قدم الحاء على الجيم وجحر الحيّة جيم فحاء ·

ج خ ف — وقد جمع الجخيف (بمعنى صوت بطن الانسان) على جُخُف وانما جُخف جمع للجخيف بمعنى القصير لأن الأولى مصدر والمصدر لا يجمع الا بثبت تقول سمعت جخيف النائمين ولا تقل جُخُف النائمين · وأما الثانيه فهي التي تجمع على جُخُف كسرير وسُرُر ·

ج د د — وقال صرحت بجُدّان هكذا بضم الجيم والصواب كسرها كما في كتب الأئمة ·

ج د ف }
ج ذ ب } — جعلها من باب نصر والصواب انهما من باب ضرب كما نصت عليه كتب الأئمة ·

ج ر ب — وقال اجرنبى اجرنباء : مثل اشرأبّ زنة ومعنى وأظنه لغة فيه · هذا كلامه وانما التي على زنة اشرأب وبمعناها هي اجرأبّ واما الاجرنباء فهو النوم بلا وسادة وهو غير معنى اشرأب ولا بوزنه ·

ج ر ذ — وقال : جرذت القرحة ن جرذاً تعقدت فجعله من باب نصر وهو من باب فرح كما ضبطه الصاغاني ·

(١) جاء في عبارة التاج المطبوع بمصر الجثة شخص الانسان قاعداً أو قائماً فأما القائم فلا يقال له جثة فقوله أو قائماً غلط من الناسخ أو سبق قلم يدل عليه قوله فأما القائم فلا يقال له جثة

ح ر س — وقال زيد مُجْرَسٌ لعمرو هكذا ضم الميم وأورد الشاهد كذلك مضموم الميم وفي لسان العرب مَجْرَس بفتح الميم وفي الشاهد كذلك مفتوحها ثم كذلك في كلام أبي حنيفة ٠

ج ر ع — جاء بالشاهد هكذا :

بأجرع مقفار مَرَب محلل

ولكنه في اللسان بأجرع مِرباع وهو المناسب لقولهم في تفسيره ولا يكون مَرَبًا محلَّلاً إلا وهو ينبت النبات ٠

ج ر ف — وقال الجرف بالضم وبضمتين ٠٠٠ ج أجرُف (أي وزان اكلب) وفي اللسان ج اجراف وُجرُوف (أي وزان ضروب) وِجرَفة ولم يذكر أجرُف ولا القياس يقتضيه ٠

ج ر م ز — وقال اجرَمَزَّ فشدَّد الزاي والصواب اجرَمَّز بتشديد الميم ٠

ج ز ر — وقال الجزّار والجزير والزاجر ٠ وصوابه والجازر وأحسبه غلطاً مطبعياً ٠

ج ع ج ع — وقال ٠٠٠ من وجع أصابعه وصوابه من وجع أصابه ولعله غلط مطبعي ٠

ج ف س — وقال جَفِس جِفاسة أي بكسر الجيم والصواب جَفاسة كسحابة كما نص عليه صاحب التاج ٠

ج ف ل — جفله جفلاً جرفه ٠ جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب ٠

« — الإِجفَلى كسر همزتها والصواب فتحها ٠

ج ق ق — جق الطائر جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب ٠

ج ل ح — المُجلّح الاكول جعلها كَمُكْرَم والصواب أنها كمحدِّث للأكول وكمعظَّم للمأكول ٠

ج ل ط — قال جالطه كايده بالياء المثناة التحتية وصوابه كابده بالباء الموحدة كما في القاموس (١) وفي الشرح نسبه الى ابن الاعرابي ٠

(١) وربما كان الصحيح أو الأصح أن جالطه كاذبه قال في اللسان ومن كلام العرب الصحيح جلط الرجل يَجلط اذا كذب والجِلاط المكاذبة ٠

ج ل م د — وقال الجَلْمَد الرجل الشديد الصلب • وفي كتب الأئمة الجلمد الرجل الشديد الصوت كالجلمدة قاله الليث •

ج م خ — جعل جمخ جمخاً اذا فخر وتكبر من باب نصر وفي اللسان وغيره من باب منع •

ج م خ ر — وقال الجمخر القصب الأسود من قصب العظام والصواب القصب الأجوف منها •

ج م ع — وقال الجامعة الغل لضرب من الحلي لأنها تجمع اليدين الى العنق هكذا يعللها • وليس في الحلي ضرب يجمع اليدين الى العنق والصواب أن يقول هكذا الجامعة الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق والجامعة ضرب من الحلي وبهذا تسلم عبارته •

ج م ن — وقال الجَمانيُّ الرجل الطويل أُجَمَّة على غير قياس • فكأنه منسوب الى الجَمان كسحاب والصواب الجُمَّاني بجيم مضمومة بعدها ميم مشدَّدة نسبة الى الجُمَّة •

ج ن ك — الجُنك من آلات الطرب هكذا ضم الجيم والصواب فتحها كما في شفاء الغليل •

ج ه د — وقال الجاهد الشهوان • ونص الأئمة غرثان جاهد شهوان يجهد الطعام لا يترك منه شيئاً (مجاز) • فصحف وابدل •

ج ه ر — وقال الحروف المجهورة المهموسة وظاهر عبارته ان المهموسة تفسير للمجهورة وليس الأمر كذلك وصحة العبارة ان يقول الحروف المجهورة ضد المهموسة ولعل كلمة ضد سقطت من الطابع •

ج و ب — وقال الجَوَبة الحفرة ••• ج جُوَب نادر لأن قياس فَعَلَة ان تجمع على فعال كثمرة وثمار والصواب الجَوْبة بإسكان الواو وجمعها جَوْبات وجُوَب كصُرَد قال صاحب التاج وهذا الأخير نادر • وذلك لأن فُعَلاً جمع فُعْلَة مضموم العين كغُرْفة وغُرَف ولم يذكر احد من الأئمة فيما أعلم الجَوَبة محركة لمعنى الحفرة •

ج و ر — قال ومنه في القرآن • أهل النار كلُّ جعظري جوَّاظ ، وليس

هذا من القرآن بسبب ولا صلة ولو دقق في ما ينقله لقال وفي الحديث كما في النهاية .

ج و ف — قال وتلعة جائفة قصيرة وصوابه قميرة أي بعيدة القعر .

ج و ل — وقال الجيْل بالفتح الجال ونص القاموس وشرحه (و) الجوْل (ناحية القبر والبئر ... كالجيل) بالكسر (والجال) كل ذلك في المحكم . والجيل واوى العين وانما حلّت الياء محل الواو لمكان كسر الجيم كما لا يخفى .

ج و م — جمع الجام على جوم بالفتح وصوابه جُوْم كما في القاموس .

ج ي س ر — وقال الجيسَرا ن جنس من أفخر النخل معرب كيسران بالفارسية . أورده صاحب القاموس في مادة ج ي س ، الجيسوان . بالواو وقال هو معرب كيسوان وأصله فارسي .

ح ب ب — جمع الحب للجرة على حَبَبَة بفتح الحاء والصواب كسرها كعِنَبَة .

ح ب س — جمع الحبيس الموقوف على حَبْسَى والصواب في جمعه حُبُس قال في اللسان والحُبُس جمع الحبيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه (الخ)

ح ب ط — وقال في الحَبَط (محركة) انها الآثار الوارمة التي تشقق وصوابه التي لم تتشقق .

ح ب ل — وقال الحابول الكُرُّ وهو حبل ... وصوابه الكَرُّ بالفتح .

ح ت ر ف — وقال حترفه : زعزعه وصوابه حثرفه بالثاء المثلثة كما في القاموس .

ح ث م — وجعل حثم له من باب نصر وصوابه انه من باب ضرب كما في المختار

ح ت م — وجاء في الشاهد على حلّة وصوابه على حالة .

ح ج ر — جاء في حديث الأحنف قد رميت بحجر الأرض فاجعل معه ابن عياض صوابه ابن عباس .

ح ج ز — وقال حجز : زنخ لمرض في المعَى صوابه زنج (بالجيم) والزَنَج محركة اسم لمرض في المعى والمصارين صرّح بذلك الأئمة .

ح ج ل وقال الحجّال : البرّاق وصوابه البريق كما في القاموس .

〃 〃 زبى حجل : لعبة ... وصوابه دُبّى بالدال

ح ج ل — التحجيل بياض ٠٠٠ من آثار الطراد وصوابه من آثار الصرار ·

〃 جاوز الأدساغ وصوابه الأرساغ (جمع رسغ) ·

ح ج ن — جعل حجن العود من باب نصر والصواب انه من باب ضرب ·

ح د ب — جعل من جموع الحدِب بكسر الدال للرجل الأحدب ·احداب·
وانما الأحداب جمع حَدَب الرمل بفتح الدال وفَعِل لا تجمع على أفعال قياساً·

ح د ب — وقال وحَدَاب كقطام موضع ويعرب ممنوعاً ٠٠٠ قال جرير :
(لقد جردت يوم الحَدَاب نساؤكم) · واسم الموضع الِحداب بكسر الحاء وهو
في بيت جرير كذلك كما في اللسان

ح ذ ل — وقال الحَذال · مستدار ذيل القميص وصوابه الحَذَل وزان جَبَل ·

〃 الحَذْل صمغ الطلح والصواب الُحذال بضم الحاء وفتحها
وفسروه بشيء يكون في الطلح شبيه الصمغ ·

ح ر د — وقال قطاً حُرُود بالضم سراع كما في القاموس · والذي في القاموس
حرُد وزان عنق ·

ح ر د — وقال حاردتْ حالي : تنكرت وصوابه تنكدت بالدال ·

〃 وِتْرحَرْد: بعض قواه أطول من بعض وصوابه وَتَرٌ وزان جَبَل ·

ح ر ر — 〃 الُحرّان بصورة التثنية والحرّابي وهما اخوان فغلب الُحرُّ على
ابي كما في الأب والأم ونصُّ اللسان والُحرّان الحرُّ وأخوه أُبَيّ ٠٠٠ كان
أحدهما أشهر من الآخر سميا جميعاً باسم الأشهر والعجب من المؤلف كيف
عدل عن عبارة اللسان الواضحة الى عبارته هذه المسلطة ·

ح ر س — وقال: قالوا ولا يقال حارسيٌّ الا اذا ذهب به الى معنى الحراسة
دون الجنس والصواب لا يقال حارس (بدون ياء النسبة)

〃 الحَرَسي واحد حَرَس السلطان ج حَرَسِيّة · ان هذا الجمع غريب
وأحسبه عامياً ونص الأئمة الُحرّاس ·

〃 وقال فلان يأكل الُحراسات وصوابه الِحراسات بكسر الحاء كما في اللسان

ح ر ص — جاء في جمع الحريص على حُرَاصاء وصوابه حُرَصاء كحكيم وحكماء واحسبه غلطاً مطبعياً .

ح ز ن — وقال حَزَنه حُزْناً . . لغة تميم واحزنه مثل حَزَّنه وحزَّنه لغة قريش . والذي جاء في اللسان هكذا . الجوهري حَزَنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقدقرئ بهما اه . وحكي عن ثعلب ان الثلاثي لغة قريش وأقرهما الأزهري وهو قول ابي عمرو .

ح س ب — وقال استعطاني فاحتسبته اكثرت له (الاساس) لكن عبارة الأساس فأحْسَبته أي على افعل لا على افتعل ويشترط في النقل الأمانة .

ح س ر — وقال وكل ما في القرآن من حسرة فهي الندامة الا قوله فيجعل الله قلوبهم حسرة فان معناه الحزن أما الآية فقد حَرَّفها ونصها : « ليجعل الله ذلك حَسرة في قلوبهم » (١٥٦ آل عمران) وقد قيل في معنى الحسرة في هذه الآية الندامة وجاءت الحسرة في القرآن لغير الندامة في قوله تعالى : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » . فكليته هذه منقوضة على ان الأصل في معنى الحسرة الكشف والمراد بها الغم بما انكشف من فوات شيء هكذا قالوا .

ح س ب — وقال والحُسبان بالضم الحساب ومنه في القرآن : « الشمس والقمر بحُسْبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدر . و — السهام الصغار الواحد حُسبانة . وهذا كل ما جاء في أقرب الموارد في معنى الحُسبان . وأما ما جاء في كتابي (متن اللغة) في معناها فهو « الحُسبان يكون جمعاً للحساب كشهاب وشهبان . ومصدر الحَسَب نحو الشكران والغفران واسماً للمصدر و — العذاب و — البلاء والشر و — الجراد و — العجاج و — النار و — سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة ينزع في القوس ثم يرمي بها فاذا نزع في القصبة خرجت الحسبان كأنها غبية مطرت فتفرقت في الناس واحدها حُسبانة وأصل الحُسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وانما يقال لما يرمى به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب ويطلق اليوم على السوائل الملتهبة التي يقذف بها في الحرب ويصح إطلاقه على بنادق الرشاش المعروفة اليوم .

ح س ن — وقال ومنه في القرآن : قل هل تربصون الا احدى الحسنيين سقط من الآية بنا بعد تربصون ·

ح ش ش — وقال قام فلان الى فلان فاستحشه اي حضر معه هكذا جاء بها من معنى الحضور وصوابه اي فصغر معه من الصِغر أو من الصغار ·

ح ط ط — وقال في مصدر حط البعير الَحطاط وصوابه الِحطاط بالكسر وقد نصوا عليه

منكب مُحَطّ ليس بمرتفع ولا مُستَفَل (هكذا بالفاء) والصواب المنحط وهو من المناكب المُسْتَفَل الذي ليس بمرتفع ولا مُستقلّ ومعنى المستفل (بالفاء) المحطوط والمستقل (بالقاف) المرتفع والعطف هنا عطف تفسير ·

ح ط ط — وقال حطّ الرجل حطّاً : حدر من علو الى سفل هكذا أورد الرجل بالجيم مرفوعاً على انه فاعل وصوابه حطّ الرَحْل بالحاء منصوباً على أنه مفعول وذلك اذا حَدّره من أعلى الى أسفل ·

ح ف د — وقال المحفِد كمجلس شيء تُعلَّق فيه الدواب والصواب تعلف وقد أورده على صحته في المحفَد كمنبر فكان هذا غلطاً مطبعياً ·

ح ف ن — وقال الحُفنة بالضم ملء الكفين وكرر ذلك بهذا الضبط والصواب فتح الحاء في سائر مواردها لهذا المعنى كما في اللسان ·

أخطاء مطبعية

جاء في كلمتي المنشورة في الجزء السابق من هذه المجلة أخطاء مطبعية فلتصحح بالقلم :

ص	س	خطأ	صواب
١١٩	١	بالمنشار	بالمِنشار
١١٩	١٢	آنج	آنخ
١١٩	١٧	البانورنج	البابونج
١٢٢	٧	در عيني	و — عيني
١٢٤	٢	انى الله	أني أنا الله
١٢٤	١٧	الحثي	الحتى بالتاء المثناة

النبطية (جبل عاملة) أحمد رضا

الملك الظاهر بيبرس [1]

- ٢ -

وكان أولُ ما صنعه بيبرس مكاتبة ملوك الأطراف وأمراء الشام بأمر تسنمه عرش المملكة المصرية . ومن هؤلاء الملوك صاحب حماة الذي بايعه مغتبطاً جذلان . ولم يتخلّف عن طاعته سوى (الأمير سنجر الحلبي) نائب دمشق فانه حلّف أمراءها لنفسه . ثم دعا اليه صاحب حماة الملك المنصور فأبى قائلاً : (أنا مع من يملك الديار المصرية كائناً من كان) . وجعل سنجر يحبّب أهل دمشق بنفسه . وعرَف منهم حبّ اللهو فيسر لهم أسبابه . وأمر بتجديد القلعة . فعملوا في بنائها حتى النساء أنفسهن . ولما كملت زفوها بالمغاني والطبول والبوقات . فكان يوماً مشهوداً . وبلغت فعلته ومروقه من الطاعة بيبرس فاتخذ خطةً حازمة أدت أخيراً الى خضوع سنجر فولى مكانه على دمشق سيده الأول (الأمير ايديكين البندقداري) وأخذ بيبرس يتتبع أخبار أمراء الأطراف الذين يخشى انتقاضهم عليه : فكان يلتقطهم الواحد بعد الآخر : ينكل بهم أو يسجنهم أو يستصفيهم وينعم عليهم . واهتم اشد الاهتمام بأمر الخلافة العباسية التي أسقطها التتار وأراد استثمار هذا الأمر في مصلحته وتثبيت مملكته والتفوّق على مناوئيه من الملوك ولا سيما بني أيوب فهو باحتضانه الخلافة العباسية يصبح هو وحده حاميها والمفوّض من قِبَلها في حماية الاسلام . وصيانة بلاد الاسلام .

وقد بلغه أن التتار بعد أن قتلوا الخليفة المستعصم أطلقوا من في سجنه من أهله . وكان فيهم (ابو القاسم أحمد) الذي لقب (بالمستنصر الثاني) فلجأ الى عرب العراق فجعل يتنسم أخبار بيبرس متشوّقاً اليه . وبيبرس أكثرُ شوقاً

---

(١) القسم الثاني من محاضرة الأستاذ المغربي التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ ٢١ كانون الأول سنة ١٩٤٥ وقد نشر القسم الأول في العدد السابق .

اليه . وأشدُّ رغبة فيه . وبقيت الخلافة شاغرةً مدة ثلاث سنوات ونصف حتى وفد المستنصر أخيراً على بيبرس في حماية أمير عرب الفضل (عيسى بن مُهنّا) فركب الملك للقائه وأقيمت المهرجانات في القاهرة عند قدومه . وبويع المستنصر بالخلافة . وكان أول من بايعه قاضي القضاة ثم بايعه بيبرس فالعلماء والأمراء . وبعد ان تمت البيعة للخليفة جاء دور إعلان ملكية بيبرس . فعُقدت لذلك حفلة كبرى . وكان الخليفة أمر بتفصيل خلعةٍ سوداء وبعَمَل طوقٍ من ذهب . وقيدٍ من ذهب . وبكتابة تقليد بالسلطنة . فقُرِئ التقليد ، وألبس الخليفة بيبرس الخلعة السوداء بيده ، وطوّق عنقه بالطوق الذهبي ، وقيّد رجليه بالقيد الذهبي . وشقّ القاهرة بموكبه ، والأمراء يمشون بين يديه . فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه .

ولا غرابة في أن يُطوّق الملك بطوق الذهب ، فقد كان ذلك مألوفاً في تزابين الملوك الأقدمين ، وآبين احتفالاتهم ، ولكننا لم نفهم معنى للقيد الذهبي في رجل بيبرس ، فهل كان الغرض منه أن يكون خلخالاً للزينة كالطوق ؟ أو هو رمز الى ان بيبرس سوف يبقى عبداً للخلافة مقيداً بخدمتها ، وأسيراً لفضلها ومنّتها !

وقد جاء في تقليد الخليفة لبيبرس ما نصه : (وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار المصرية والشامية والفراتية والحجازية واليمنية ، وما يتجدد من الفتوحات غَوْراً ونجدا . وفوّض أمرها اليك حين أصبحت للمكارم فردا) .

وهكذا انتقل الأمر والنهي من سلطة العرب إلى سلطة الأعاجم وبقي الخليفة في مصر لا شأن له . وكان أشبه بالسجين لكنه كان يزور أحياناً الأمراء والكتاب والقضاة : يهنئهم بالأعياد ، فالملك الظاهر إنما أعاد الخلافة العباسية لأجل ان يتلقى منها السلطة الشرعية ، ويحتجّ بها على منافسيه ، ثم أهملها حتى قام زميله الأعجمي الآخر (السلطان سليم العثماني) فنقل الخلافة من

مصر الى الاستانة وهناك طُمس اسمها، ومُحي رسمها، حتى قام السلطان (عبد الحميد الثاني) فحاول إحياءها والاستفادة من قداستها، فلم يَرُق ذلك لمن بيدهم السيطرة العالمية فاحتالوا على إسقاطها في الاستانة، ثم أرادت ان تنهض في مكة ولكنهم عادوا فأماتوها في قبرص.

ومنصب الخلافة أيها السادة ثالث ثلاثة محاور تدور عليها جامعة الاسلام، فان كانت ماتت الخلافة فإن القرآن والكعبة حيان لن يموتا، بل ان فيهما الكفاية لذوي الألباب.

وحصل في بلاد الشام خلاف بين أمرائها أدى الى وقائع ومناوشات فاتخذ بيبرس من نزاعهم ذريعةً الى زيارتها، وهناك شيءٌ آخر قام في نفسه: وهو ان يصطحب الخليفة الجديد ويجهزه الى استرداد بغداد من ايدي التتار فدخل بيبرس دمشق وهو معه.

وهذه أولى سفرات بيبرس الى الديار الشامية، وقد بلغت سفراته اليها ست عشرة سفرةً، ومدة سلطنته ثماني عشرة سنةً، فيصيب كل سنة وشهرين من أيام سلطنته سفرةٌ واحدةٌ الى الشام. وسنذكر ما جرى له في تلك السفرات ملخصاً تلخيصاً، أما تفاصيلها فمدوّنة في كتب التاريخ لمن أرادها.

ولما نزل دمشق كان أولُ من جاءه فيها ملك حماة (المنصور) الذي أنِفَ أن يشتريه خوف الشر اللامع في عينيه لكن بيبرس لم يأنف من الحفاوة به والاحسان اليه: فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم، وهدايا أخر، وثبّته في مملكة حماة الى ما شاء الله حتى كان من ذريته المؤرخ (ابو الفدا) ملك حماة ومفخرتها. وأخذ بيبرس في إعداد حملة للخليفة (المستنصر) وتجهيزها بكل وسائل الأبهة والعظمة، حتى قيل إنه أنفق عليها أكثر من مليون دينار، وسار الخليفة وفي ركابه عدة ملوك، أما بيبرس فلم يصحبه، ولم يلقِ بنفسه في الأتون: ذلك أن الخليفة لما دخل العراق انقاد اليه بعضُ مدنها، واستعصى عليه بعضها، وصَمَد اليه (قرابوغا) عظيم التتار بجنوده وذلك سنة (٦٦٠ هـ) ولم يكن مع

الخليفة من الجنود الا التركمان وجماعة من العربان . وتسلل من رافقه من الملوك ، فلم يشهدوا الوقعة معتذرين بقولهم (مامعنا مرسوم بذلك) يعنون من بيبرس فهل كان هذا التدبير من مكايد بيبرس للتخلص من الخليفة الأسود اللون والمشكوك في نسبته الى بني العباس ، فورطه في هذه الفتنة التتارية حتى غرق فيها . ولم يظهر له أثر بعدها ؟ وهذا ما حدث : فان المستنصر لما التقى بالتتار أحاطوا به فنجا بعض أمرائه ومنهم أمير عرب الفضل (ابن مهنا) وقتل بعضهم . أما هو فلم يوقف له على خبر : قيل قتل ، وقيل نجا مجروحاً ومات في منازل العربان ، وقيل سلم وأضمرته البلاد ، وهكذا تم ما أراده بيبرس وتخلص من الخليفة بعد أن أصبح ملكاً شرعياً بمبايعته له .

ولعل بيبرس لم يرد هذا وانما اراد بهذه الحملة أن يعجم عود التتار ومبلغ قوتهم ، ولم يشأ أن يغامر بنفسه وهو بعد في السنة الثالثة من ملكه ، فلم تتوفر لديه القوة ولا أسبابها من عتاد وسلاح ، ولم يطمئن بعد الى من حوله من الأمراء الطامعين في الملك : فان بعضهم ما زال يراوغ ويضمر السوء ، وينزو هنا وهناك نزوان الثعالب . ومنهم الأمير (آقوش البرونلي) الذي أراد أن يستبد بحلب ثم عاد فخضع .

ورجع الملك الظاهر الى مصر من دون أن يكون معه خليفة ، غير أن مصر اصبحت مطمح أنظار الطامعين بالخلافة من آل العباس فقصدها منهم (الحاكم بأمر الله) فاحتفى به بيبرس وعقد مجلساً لمبايعته فبويع لكنه رسم عليه أن يبقى في القلعة شبه سجين .

وفي سنة (٦٦٣ هـ) كثرت الشكاوي على قاضي مصر (ابن بنت الأعز) ونسبوا اليه التراخي في الأحكام فرأى الملك أن يجعل القضاة أربعة : لكل مذهب قاض في مصر وفي دمشق أيضاً ، واتفق ان كان من قضاة دمشق ثلاثة ، كل منهم كان يلقب بشمس الدين : شمس الدين بن خلكان الشافعي . وشمس الدين الأذرعي الحنفي ، وشمس الدين بن أبي عمر الحنبلي . فقامت دمشق

تشكو وتقول : ما الفائدة من هذه الشموس · وظلام الجور مخيِّمٌ فوق الرؤوس ،
وقال شاعرهم : بدمشقٍ آيةٌ قد ظهرت للناس عاما
كلما ازدادوا شموساً زادت الدنيا ظلاما

وكان التحاسد والتنازع حول الوظائف الدينية بالغاً مبلغه في ذلك العهد : من ذلك ما ذكره (ابن أبي عُذيبه) في تاريخه : ان التتار لما وصلوا الى حمص جمع الشيخ (محي الدين بن الذكي) صدرُ دمشق في ذلك العهد علماءها ، وأهل المناصب فيها وأشار عليهم أن يهيئوا هدية سنية يتوجه بها الى حمص ويقدمها الى ملك التتار باسم مدينة دمشق ملتمساً منه عدم التعرض لها بسوء ، فاستحسنوا رأيه ، وأخذ الهدية وقدمها اليه فقبلها شاكراً وولاّه قضاء الشام · فكبر الأمر على منافسيه من علمائها ، فجازوه على حسن صنيعه : بأن أرسلوا الى (الملك الظاهر) يقولون : ان الشيخ الذكي اقتطع لنفسه من الهدية قسماً كبيراً وطلبوا محاسبته ، فاستدعاه الملك الى مصر وسأله عن القضية فشرحها له ، ولما تبين صدقه نَفِسَ به أن يعيش في دمشق بين أولئك الحسدة فأبقاه لديه في مصر ·

ولما استقرت الحالة الداخلية في المملكة أخذ الظاهر يفكر في الحالة الخارجية وكان يهمه في الأكثر تطهير البلاد من الصليبيين ، فخرج من مصر الى الشام وهي سفرته الثانية وذلك سنة ٦٦٤ هـ ونزل عين جالت قرب نابلس ، ومنها بثّ جنوده فأغاروا على عكا وصور وطرابلس فسبوا وغنموا · ثم نهض هو الى صفد فامتنعت عليه الا أن يحلف لهم هو نفسه على شروط الصلح ، وكان في صدره حزازةٌ عليهم فمكر بهم مكراً حاسبه عليه التاريخ ، ولامه ميور الانكليزي بسببه أشد اللوم : ذلك أنه أجلس على كرسيه أحد أمرائه (كرمون آغا التتاري) فحلف كرمون آغا لرسل صفد وهم يظنونه الملك الظاهر لشدة شبهه به ·
وتسلم الملك القلعة ، وبلغه ان أهلها أخذوا بعض ما له قيمةٌ من التحف وكانوا تعهدوا أن لا يفعلوا · فأمر بضرب رقابهم ، ورجع الى مصر وكان أمر بعمارة جسر على نهر الشريعة فظهر خلل في بعض أركانه وتعذّر إصلاحه بسبب طغيان

المياه فقلق الملك واتفق ان وقعت قطعة من الجبال على المجاري فانقطع الماء فأصلحوا الجسر وعادت المياه الى مجاريها . وعُدّ هذا من حسن طالع الملك ،
ثم رجع بيبرس الى الشام لمناجزة الصليبيين في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ فاستولى على انطاكية في ٤ رمضان : ففي خلال الثلاثة الأشهر إلا أياماً اجتاز بيبرس قفار صحراء مصر وطور سينا حتى بلغ يافا ففتحها وفتح بعدها شقيف أرنون واكتسح أرباض طرابلس وحصن الأكراد ومرّ بحمص وحماة وأفاميا حتى انطاكية ففتحها : معاقل حصينة ، وعدوّ جبار مسلّح ، ومسافات طويلة تبلغ زهاء الف كيلو متر ، ولا سكك حديد ، ولا سيارات نقل ، ولا طيارات ، ولا بخار ، ولا كهرباء ، ولا تلفونات . أليس كل هذا من خوارق همم جارنا الملك الظاهر ، وشدة مضائه ، وعجيب عزائمه ! وماذا كان شأن بيبرس في الشام بعد هذا الفتح ؟ كان شأنه في الشام كما كان شأنه في مصر : قلق واضطراب وحذر وسوء ظن يجعله لا يستقر على حال ، ولا يهدأ له بال . كان وهو في مصر يفكر في حال أمراء بلاد الشام وملوكها : أهم باقون على ولائه مستمسكون بطاعته ؟ يفكر في بقايا الصليبيين أما حان جلاؤهم عن البلاد ؟ وهناك أرمن وتتار على الحدود في الشمال والشرق ما فتئوا يعيثون ويتربصون الدوائر بالبلاد — كل ذلك كان يزعجه فيُعجّل من مصر الى الشام فيعمل ما سمعتم نموذجاً منه آنفاً . حتى اذا استقر في الشام أخذ يفكر في مصر وأمرائها : أباقون هم على طاعته والنصح له والالتفاف حول وليّ عهده وضجيعه في قبره (الملك السعيد) فيهبُّ من فوره ويسرع الى مصر . وهكذا قضى سِني مُلكه يراوح بين الراحتين . ويتنزّى تنزّيَ النمر بين القطرين .

اكتسح الشام وفتح انطاكية وعيّد في دمشق . وعاد الى مصر فدخلها في ١١ ذي الحجة سنة ٦٦٥ ورأى ان يحتفل بولاية العهد لابنه السعيد ففعل وأخذ القضاة يحلّفون الأمراء على بيعته وامحاض النصح في خدمته . وخرج الموكب من القلعة بأبهة السلطنة والظاهر بيبرس ماشٍ على قدميه أمام ابنه ، وولي عهده .

كل ذلك زيادة في تمكين السلطان له ، وتقريره في نفوس الأمراء : فلا تحدثهم أنفسهم بالانتقاض عليه ، واختلى به يوماً فقال له : (إنك صبيّ وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبيّ فمن بلغك عنه ما يشوّش عليك ملكك وتحققت ذلك منه فاضرب عنقه ، ولا تستشر أحداً فيه ، وافعل ما أمرتك به وإلاّ ضاعت مصلحتك) .

ولما هدأ باله من جهة ابنه سافر الى الشام لمقابلة رسل التتار فأنزلهم في القلعة واستقبلهم فيها وأدّوا رسالة ملكهم (ابغا بن هولاكو) ومما قال له فيها : (وأنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الأرض ما تخلص منا . فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحاً . وإنما أنت مملوك أُبعتَ في سيواس (اي عُرضت للبيع فيها) فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ؟)

فوسَّع الملك الظاهر صدره لهذا التهديد والتعيير ، وصرف الرسل برسالة ملخصها : إنه عامل على استرداد ما بأيديهم من بلاد الاسلام وسيرون .

ثم تسلَّل بيبرس عائداً الى القاهرة خفيةً ، والناس في دمشق يظنونه مريضاً : تغدو الأطباء عليه وتروح .

ويُفهم من كلام المؤرخ (ابن تغري بردي) ان بيبرس غادر بلاد الشام في ١٨ شعبان وعاد اليها في ٢٩ منه ، فكانت مدة غيابه احد عشر يوماً : منها أربعة أيام أقامها بمصر والباقي سبعةُ أيام للذهاب والإياب . أليست هذه السرعة في قطع المسافات من مواضع العجب إن لم تكن من مواضع الشك في صدق الخبر وضبط الأرقام ؟ اللهم الا اذا ادّعى مدع بأن بيبرس كان يمتطي خيل البريد المهيأة له في المنازل وهو منذ حداثته في بلاده اعتاد ركوب الأفراس والطراد عليها ، وكأن شربه حليبها . أورثه صبرها ودؤوبها . وجعل اعصابه من أعصابها، ووثوب الفهد ليس من العجيب. وقديماً قالوا لكل مسمى من اسمه نصيب .

وكان غرضه من تعجيل الزيارة لمصر الوقوفَ على أحوال ولده وحسن قيامه بأعباء الملك واخلاص الأمراء له والاطمئنان الى خلو الجو من الدسائس والمؤامرات ؟ كل هذا كان يخافه الظاهر بيبرس لأنه درس طبيعة ذلك العصر

وأخلاق أهله منذ حداثته : فهو يعرف ان الابن أحياناً يخون أباه وبالعكس ، والخشداش [1] يخامر على ُخشْداشه ويُسلمه الى الهلاكة . فلا تعجبوا أيها السادة من سوء ظن جارنا الملك الظاهر وشدة حذره .

وفي سفرته هذه الى الشام شخص منها الى الحجاز فأدّى الفريضة وزار المدينة المنورة فهرب منها المتغلب عليها (جَمَّاز بن شيحة) من امراء عرب الفضل . فعجب بيبرس لهروبه . قال : ولو ظفرتُ به لما قتلته لأنه في حرم النبي ﷺ . ورجع الى مكة فطاف وسعى وصعد الكعبة وغسلها بيده بماء الورد وعاد الى الشام فمصر فأغدق الهدايا والخلع والمال على أمرائه ، ثم عاد الى الشام وهذه هي السفرة السادسة من سفراته ، وأريحوني أيها السادة من تعيين مقدار الأيام التي كان يمكثها هنا وهناك وفي الطريق فقد عرفتم نماذجها مما مرّ . وأنا أشعر أنكم مذ تتصورون قلقلة الظاهر ركابه في سفراته . ونشاطه في غدواته وروحاته تقارنون بينها وبين سكونه الأبدي في هذه الحفرة الضيقة التي وصفها سيدنا علي فقال : (لو زيد في فُسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطها الحجر والمدر ، ولسدّ فُرَجَها التراب المتراكم) .

وقد أَسَرَ بيبرس وهو في الشام ابن اخت ملك عكا ، وبلغه ان مراكب الافرنج دخلت ميناء الاسكندرية واستولت على مركبين للمسلمين فهبّ مسرعاً الى مصر ، وبلغه هناك ان مراكب الافرنج عادت فنهبت ميناء الاسكندرية فأمر بتقوية وسائل الدفاع عنها : من ذلك أن تقتل كلابها ، وتُغلق حوانيتها ليلاً وان لا يوقد فيها نار ليلاً . ونهض الى الشام . وهذه هي سفرته السابعة فمر بعسقلان فهدم سورها فوجد تحته كوزين فيهما ألفا دينار ذهباً ففرّقها على أصحابه . ولم يصل هذه المرة الى دمشق بل عاد الى مصر ثم لم يلبث أن عاد

(١) الخشداش كلمة تركية شاع استعمالها بين مماليك ذلك العهد ، وكان الواحد منهم يطلقها على مملوك آخر توثقت بينهما أواصر الود مذ كانا مملوكين لسيد واحد ، وجعلها بعضهم مرادفة لكلمة Camarade الافرنسية .

الى الشام فدوّخ وفتح وأسر من الصليبيين حتى القى عصا التسيار أخيراً على (حصن الأكراد) المعقِل المنيع المشهور بين حمص وطرابلس فهدم أسواره واستولى عليه • وعلى البلاد التي حواليه •

ثم قصد طرابلس وشدّد الحصار عليها • وفي آخر الأمر هادن صاحبها (بيموند) على شروط : ومن تلك الشروط أن تكون عَرْقة وقُراها (وهي ست وخمسون قرية) صدقة من بيبرس على البرنس ، وهذه احدى دُعابات جارنا الملك • فأنف البرنس (بيموند) وتوقّف عن توقيع الاتفاقية وأبى بيبرس إلا إبقاء هذا الشرط بهذا التعبير • وفي آخر الأمر وقع البرنس الاتفاقية مكرهاً •

وعاد الظاهر الى مصر بعد أن أنفق في هذه السفرة على عسكره ثمانمائة الف دينار • وكان بلغه أن طائفةً من الأمراء تآمروا عليه وهو ما كان يخشاه ويقلق راحته فقبض عليهم وسجنهم في القلعة •

وبلغه ان صاحب قبرص جاء الى عكا فاغتنم بيبرس فرصةَ غيابه وأرسل الى قبرص حملةً بحرية فعصفت بها الرياح وتحطم من شوانيها (أي سفنها) أحد عشر من سبعة عشر شونياً • وأُخذ من فيها أسرى ، وكانوا ألفاً وثمانمائة • فعظم ذلك على الملك وأمر بمنع الخمور فأُريقت • وكان التزامها ألف دينار كل يوم •

(لها بقية) المغربي

ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثاني)

ترجمة المؤلف

ابن طولون : هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد المدعو بمحمد ابن علي بن خمارويه ابن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي المكنى بأبي الفضل .

ولد بصالحية دمشق في حكر الحجاج المشهور في زمنه باسم حكر بني القلانسي قبلي مدرسة الشيخ ابي عمر كما يقول هو عن نفسه [1] ويقول ابن العماد في شذرات الذهب : انه ولد بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية . قلت ولا تناقض فان السهم الأعلى اسم يشمل المدرستين العمرية والحاجبية وما حولها وكل ذلك زال في يومنا هذا وانما يطلق عليه اسم حارة لاكراد . والعمرية باق اكثر مرافقها أما الحاجبية فلم يبق منها الا حيطانها ولا تزال معروفة باسم الحاجبية [2] . وكان مولده في ربيع الأول من شهور سنة ثمان وثمانمائة تقريباً كما يقول هو عن نفسه . ماتت والدته — ازدان التركية — فعنى به أبوه وتعلم الخط بمكتب المدرسة الحاجبية ثم حفظ القرآن بمكتب مسجد الكوافي الشهير الآن بمسجد العساكرة بالسهم الأعلى وصلى به في هذا المسجد في رمضان سنة سبع وثمانين وحضر خلفه في الصلاة شيخ الاسلام زين الدين بن العيني الصالحي وشمس الدين محمد بن عيسى البغدادي . ثم حفظ المختار في الفقه الحنفي وعرضه على الزين العيني بمحل تدريسه

---

(١) انظر رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » لابن طولون نفسه وقد ترجم فيها نفسه ونشرها السيد حسام الدين القدسي باسم رسائل تاريخية رقم [١] بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٨

(٢) انظر كتاب منادمة الأطلال للمرحوم بدران ، وكتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وعلقنا عليه وذيلناه .

بالجامع الأموي ، ثم حفظ كتاب المنار في أصول الفقه الحنفي للحافظ النسفي وكتاب الخلاصة الألفيــة لابن مالك النحوي . والآجرّومية لابن آجرّوم ، وكتاب الحدود لأبي عبد الله الأبدي والمقدمة الجزرية لشمس الدين بن الجزري وعرض هذه الكتب سنة اربع وتسعين وثمانمائة على جماعة منهم شيخ الحنفية بدمشق العز بن الحمراء ، وشيخ الشافعية التقي بن قاضي عجلون ، وشيخ الحنابلة الشهاب العسكري ، وقاضي قضاة الحنفية المحب بن القصيف ، وقاضي قضاة الشافعية الشهاب بن الفرفور ، وقاضي قضاة الحنابلة النجم بن مفلح ، والقاضي التقي بن قاضي زرع ، والقاضي المسند البرهان القطب . ثم حفظ تلخيص المفتاح للجلال القزويني والشمسية في المنطق ، والفية الحديث للعراقي ، وحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع لابي القاسم الشاطبي ، والدرة في القراءات الثلاث تتمة العشرة لابن الجزري ، وعرضها على الجمال يوسف بن عبد الهادي . وقرأ القرآن بالسبع أفراداً وجمعاً على محي الدين الاربدي ، وبالثلاث تتمة العشرة على الشيخ شمس الدين ابن البصير امام باشورة الباب الصغير . ثم اقبل على رواية الحديث النبوي عن جماعة منهم : ناصر الدين ابو البقاء محمد بن أبي بكر بن ابي عمر الصالحي الشهير بابن زريق ؛ قرأ عليه في مدة عشر سنين أكثر أمهات كتب الحديث وقد سماها باسمائها في الفلك المشحون [١] كما أطال بذكر ترجمة شيخه هناك . وقرأ أيضاً على أبي الفتح المزي ، وخديجة الارموية . وكان يعني أثناء ذلك بالاشتغال بعلم الحديث النبوي دراية فقرأ على الشيخ المحدث جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المشهور بابن المبرَد بعض كتب السنة وكتاب النخبة وشرحها لابن حجر ، وقرأ على شمس الدين بن رمضان حل الفية الحافظ العراقي ، وقرأ على عمه الجمال بن طولون شرح الفية العراقي لزين الدين بن العيني ، ثم قرأ علم الكلام على جماعة منهم الملا عبد النبي شيخ المالكية : قرأ عليه شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية الخيالي ، ثم شرح الطوالع للاصفهاني ، وقرأ علم الاصول على جماعة منهم البرهان ابن عون ؛ قرأ عليه شرح المنار لابن فرشته ثم شرح المغني للقاءاني ثم شرح

(١) انظرها في ص ١٠ — ١١

التنقيح لصدر الشريعة • وقرأ علم أصول النحو على جماعة منهم عبد الصمد الهندي قرأ عليه : الاقتراح للسيوطي • وقرأ علم النحو على جماعة منهم الشهابي بن شكم : قرأ عليه الأجرومية والبصروية للشمس البصري ، والملحة للحريري ، وقواعد الاعراب والشذور وشرحه لابن هشام ، ثم الفية ابن مالك وشرحها لولده • وقرأ علم التصريف على جماعة منهم الشمس بن رمضان قرأ عليه شرح العزى للتفتازاني ، ومنهم الشمس الصفدي قرأ شرح المراح ، ومنهم المنلا عبد النبي الهندي قرأ قرأ عليه بعض شرح الشافية للجاربردي • وقرأ علم المنطق على جمع منهم المنلا شمس الدين قرأ عليه الرسالة الأثيرية لأثير الدين الأبهري المشهورة بايساغوجي ثم شرحها للكاتي ثم لابن الفنري ، ومنهم المنلا عبد النبي قرأ عليه الشمسية ثم شرحها للقطب والتفتازاني ، ثم شرح المطالع للقطب وجمل الخونجي وشرحها للسيد وقرأ علم التفسير على جماعة منهم الشهاب العسكري : قرأ عليه بعض اتقان السيوطي ، ومنهم المنلا جلال الدواني قرأ عليه تفسير الفاتحة من الكشاف ثم تفسير آية الكرسي للشرواني ، وقرأ علم العروض على جماعة منهم : الشهاب بن شكم قرأ عليه الأندلسية لأبي الجيش الأندلسي ، ومنهم الشمس بن نصير قرأ عليه الخزرجية • وقرأ علم القوافي على جمع منهم : الشهاب بن شكم والشمس بن نصير وقرأ عليه الكافي لابن بري •وقرأ علم الطب على جمع : منهم رئيس الأطباء بدمشق الشمس بن مكي قرأ عليه متن الكليات الايلاقي ثم شرح كليات القانون للرازي ثم الموجز لابن نفيس ، وبعض شرح فصول ابقراط لابن القف ، وشرح المنلا نفيس على الأسباب والعلامات للسمرقندي و كتاب المنصوري ، ومنهم الجمال ابن المبرد قرأ عليه كتابيه في الأعشاب والطب النبوي ، ومنهم الشهاب القرعوني قرأ عليه اماكن من كتاب الامنيات في الحميات لمومي اليلداني ، وقرأ علم الهيئة على جماعة :منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الملخص للجغميني وشرحه للسيد الشريف • وقرأ علم الهندسة على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه اشكال التأسيس للشمس

السمرقندي ثم شرحه للسيد الشريف ، وقرأ علم المعاني على جمع منهم الشمس ابن رمضان ، وعلم البيان على الشمس وعلى عبد الصمد الهندي ، وعلم البديع على الشمس والعلاء بن مليك . وقرأ علم الحساب على عرفة الوراق والمنلا عبد النبي الهندي . وعلم الفرائض على عمه الجمال بن طولون وعرفة الوراق والبرهان بن عون . وقرأ علم الميقات على جمع منهم ابو الحسن المنوفي ؛ قرأ عليه رسالة المقنطرات للشرف الخليلي ثم رسالة الجيب للشمس التيزيني ؛ ومنهم عرفة الوراق قرأ عليه منظومة المقنطرات للبرهان الزمزمي ، ومنهم الشيخ الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه رسالته الشمسية في الأعمال الجيبية ، ثم كتاب تحفة الأحباب في الباذهنج ونصب المحراب لأبي العباس ابن المجدى ، وقرأ علم الفلك على جمع: منهم الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق لأبي العباس بن المجدي ، ورسالة حساب الدرج والدقائق بجدول النسبة الستينية لأبي الفضل الموقت ، وكتاب النيرين من زيج ابن الشاطر ، ومنهم ابو الفضل المؤذن قرأ عليه الكواكب السبعة من مختصر زيج ابن الشاطر الملقب بالدر الفاخر اختصار الشهاب الحلبي . وقرأ علم الطبيعي على جمع منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الهداية لأثير الدين الأبهرى ثم شرحها للمنلا زاده ، وقرأ علم الآلهي على جمع منهم : الشمس بن مكي وقرأ عليه الهداية . وقرأ علم التاريخ على جماعة منهم : يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، وقرأ علم اللغة على جماعة منهم الشهاب العسكري قرأ عليه أماكن من المزهر للسيوطي ، وقرأ علم التصوف على جماعة منهم : ابو الفتح الاسكندري قرأ عليه اماكن من كتابة ابتغاء القربة باللباس والصحبة، منهم الجمال يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه كتابه صدق التشوف في علم التصوف وكتابه يد العلقة بلبس الخرقة والبسه اياها ومنهم ابو عراقية وقرأ عليه عوارف المعارف ثم البسه الخرقة ايضاً . وقرأ علم الفقه على جمع منهم الزين بن العيني قرأ عليه بعض كتاب المختار للفتوي للشيخ المجد البغدادي ، ومنهم البرهان بن القطب قرأ عليه بعض كتاب المختار ، ومنهم شيخ القجماسية

الشمس بن رمضان قرأ عليه بعض الكتاب المذكور والكنز للحافظ النسفي واجازه بالتدريس في ٧ ربيع الأول سنة ٩٩٩، ومنهم امام الحنفية البرهان بن عوف قرأ عليه مجمع البحرين لابن الساعاتي، والهداية للمرغيناني، اجازه بالافتاء في سنة ٩١١ . وقال في كتابه الفلك المشحون بعد ذكر ما تقدم: وقد اشتغلت بعلوم اخر على اشياخ غرباء اعرضت عن ذكرها هنا لقلة اهتمامي بها ومن اراد الاطلاع على معرفة ما تيسر لي نوع إلمام به من انواع العلوم فعليه بكتابي المسمى باللؤلؤ المنظوم فاني ذكرت في كل واحد منها ما تيسر لي من رسمه وموضوعه وغايته وعمن اخذته وماذا كتابي فيه واي شيء لي فيه من تأليف الى حين وضعي هذا المؤلف وفائدة مهمة منه وغالباً لا اخل بذكرها اجمع اذ هي الغرض وربما يستفاد منها أمور اخرى بالعرض ومجموع ما ذكرت فيه من العلوم ثمانية وثلاثون علماً على عدد موالي النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمنها علوم أخر تزيد مع هذه على اثنين وسبعين علماً. ثم سرد بعض أجازاته فارجع اليها اذا شئت[1]

اما الوظائف التي وليها فهي انه كان اول امره يعقد الأنكحة باذن من الخليفة بمصر وقد ذكر طرفاً من صيغ عقوده هذه في كتاب الفلك المشحون فارجع اليها[2] ومن وظائفه قراءة القرآن تحت قبة النسر بالجامع الأموي وذلك حسب وقف السلطان المؤيد شيخ، وقراءة القرآن بالتربة الشهابية بسفح قاسيون، وقراءة القرآن ايضاً بالتربة الاسعردية [السعرتية] بالجسر الأبيض، وقراءته بالسبع في المدرسة العمرية الى غير ذلك من القراءات القرآنية التي احصاها في ترجمته[3] ومن وظائفه قراءة الحديث النبوي بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى[4] وقراءة صحيحي البخاري ومسلم في وقف آسية بنت السعيني بإيوان تربة اهلها بالجامع الجديد . وقراءة البخاري المنسوبة لعم والده الخواجا برهان بن

(١) الفلك المشحون من ص ١٨ الى ص ٢٠ (٢) المصدر السابق ص ٢٠ — ٢٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٢ — ٢٣ (٤) أقول هي المدرسة العزية ولا تزال موجودة أمام مدرسة التجهيز وانظر كتابنا ثمار المقاصد .

قنديل . ومن وظائفه امامة الخانقاه اليونسية بالشرف الأعلى وكان مما كتبنا بها في ٨ ربيع الآخر سنة ٩٠٨ [1] ومنها امامة الزاوية السيوفية بمحلة الفواخير في سلخ رجب سنة ٩٠٨ ، وامامة عمارة السلطان سليم بالصالحية وهو أول من وليها في مستهل محرم سنة ٩٢٤ . ومن وظائفه خطابة المدرسة الركنية بسفح قاسيون في ١٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ الى ان خربت محلتها . ومن وظائفه المشارفة والنظر على على المدرسة المرشدية وكان له ربع اجرة المشارفة . ومن وظائفه تفرقة الربعة بالمدرسة الجوهرية في ١٢ رجب سنة ٩٠٩ . ومن وظائفه خدمة الكتب الحنفية بالمدرسة العمرية ، وخدمة الكتب المنسوبة لعبد الرحمن بن العيني الموضوعة في تربته بالخاتونية داخل الجامع الجديد بالصالحية ، وخدمة الكتب المنسوبة للعلاء البخاري الموضوعة بمشهد عروة بالجامع الأموي وقام بذلك سنين عن عمه الجمال ومن وظائفه كتابة الغيبة بالمدرسة الجوهرية . ومن وظائفه تدريس التصوف بالخانقاه اليونسية والخانقاه الحسامية بالقرب من الشبلية [2] . ومن وظائفه أيضاً الفقاهة في الماردانية والخاتونية البرانية وفي ايوان الجامع الجديد ، والمدرسة الجوهرية والمرشدية والمنجكية ، والقماعية داخل باب قلعة دمشق ، والجمالية والشبلية الجوانية [3] ومن وظائفة الاعادة بالمقدمية الجوانية . ومن الوظائف التي كان يشغلها التدريس في الماردانية ، والعذراوية ، والحنفية بالمدرسة العمرية ومن وظائفه أيضاً المشيخة بزاوية المنبجية بالربوة ، وبالخانقاه اليونسية ، وبالزاوية السيوفية ، ومن وظائفه نيابة النظر في الخانقاه اليونسية ووقفها ، والزاوية المنبجية بالربوة ووقفها ، والنظر على زاوية السيوفي ووقفها ، ووقف ذريته ، والنظر على مكتبة العلاء البخاري ، وفي سنة ٩٤٦ عرض عليه قاضي دمشق محمد باك الاصطنبولي خطابة الجامع الأموي فاعتذر لضعف بدنه . وفي سنة ٩٥٠ عقيب موت مفتي الحنفية القطب

---

(١) الخانقاه اليونسية هي التي يسميها العامة في هذه الأيام بجامع الطاووسية ولها بابان أحدهما من البحصة والثاني من طريق الصالحية وانظر أيضاً كتابنا ثمار المقاصد (٢) انظر ثمار المقاصد

(٣) وهناك مدارس اخرى ذكر ان له فيها (فقاهة) وما أدري ما المراد بهذه الكلمة ولكن المراد بها انه كان مسجلاً في هذه المدارس كفقيه يطلب العلم وله شيء من وقفها .

محمد بن الكمال الصالحي عرض عليه افتاء الحنفية فاعتذر وتعلل بتوالي الأوجاع[1] وظل على تدريسه ووظائفه الى ان ادركه الأجل يوم الأحد حادي عشر أو ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ودفن بتربتهم عند عمه الجمال بن طولون بالسفح قبلي الكهف والخوارزمية، هكذا يقول النجم الغزي[2] في كتابه الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة وابن العماد في الشذرات وقد فتشت طويلاً بين القبور هناك فلم أعثر على قبره كما فتش عليه من قبلي السيد حسام الدين القدسي فلم يهتد اليه · ولم يعقب أحداً ولم يكن له زوجة حين مات رحمه الله ·

تلاميذه وآثاره : قال النجم الغزي في الكواكب : أخذ عن ابن طولون جماعة من الأعيان وبرعوا في حال حياته كالشهاب الطيبي شيخ الوعاظ والمحدثين والعلاء بن العماد، والنجم البهنسي خطيب دمشق، وشيخ الاسلام اسماعيل النابلسي مفتي الشافعية والزين بن سلطان مفتي الحنفية، والشمس الميثاوي مفتي الشافعية الآن، وشيخ الاسلام شهاب الدين الوفائي مفتي الحنابلة الآن، وقريبة القاضي أكمل الدين بن مفلح وغيرهم ·

أما كتبه فأكثر من ان تعد هنا · قال ابن العماد في الشذرات كانت أوقاته معمورة بالتدريس والافادة والتأليف كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق ستين جزءاً وسماها بالتعليقات كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ومنها كثير من تأليفات شيخه (أي بالاجازة) السيوطي · وقد أحصى في آخر ترجمته لنفسه كتبه وتآليفه وسردها بترتيب الحروف الابجدية وقد جاءت في نحو من ٢٣ صحيفة بالحرف الدقيق ذكرها أيضاً السيد جميل العظم في كتابه قلائد الجوهر فيمن لهم خمسون تأليفاً فأكثر مع بعض تحريفات في اسمائها · وهذه المؤلفات في أغلب الظن رسائل لطيفة كالتي ننشرها الآن

---

(١) انظر الفلك ص ٣٥

(٢) منها نسخة مخطوطة بالظاهرية وقد نشر الجزء الأول منه الأستاذ جبور ببيروت ·

وقد نشر له منها ثلاث رسائل السيد حسام الدين القدسي منها رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » في ٥٤ صحيفة ، ورسالة « الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية » في ٣٨ صحيفة ،ورسالة « المعزة فيما قيل في المزة » في ٢٦ صحيفة . وكثير من هذه الرسائل لطيف طريف في بحثه فلعل الزمن يتيح للعلماء نشر ذلك واليك اسماء بعض هذه الرسائل الطريفة مما له علاقة بهذه الرسالة او مما له خطر وشأن .

رسالة : الأحاديث المروية في البساتين النيربية .
 〃 : بهجة الأنام في فضل الشام .
 〃 : التوجهات الست الى كف النساء عن قبر الست .
 〃 : تفريج الهم في زيارة مغارة الدم .
كتاب : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .
 〃 : نزهة الأفكار فيما قيل في دمشق من الأشعار .
 〃 : نزهة السامعين في المسلسل بالدمشقيين .
 〃 : الذيل على طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي في ٣ مجلدات
 〃 : الذيل على كتاب تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب
 〃 : الذيل على التوقيف في آداب التأليف .
 〃 : فرائد الفوائد في احكام المساجد .
 〃 : الهادي الى ترجمة شيخنا المحدث الجمال بن عبد الهادي .
 〃 : الهجاج من أخبار الحلاج .
رسالة : الالمام بأمثال العوام .
 〃 : اعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى .
 〃 الأحاديث المسموعة في دور القرآن بدمشق وضواحيها .
 〃 〃 〃 في جوامع دمشق وضواحيها .
 〃 〃 〃 في احدى مدارس الحنفيه أو الشافعية أو المالكية أو الحنابلة بدمشق وضواحيها .

رسالة : البرق السامي في تعداد منازل الحاج الشامي .
 〃 : تبييض القراطيس فيمن دفن بباب الفراديس .
 〃 : تبليغ البشرى بأحاديث داريا الكبرى .
 〃 : جزء ذكر دور الحديث بدمشق .
 〃 : الدر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام .
ديوان شعري الأكبر وقد غسلته في مرض عرض اشرفت فيه على الموت ، وديواني الأصغر وقد غيرت فيه كثيراً في ديواني الهالك
 〃 : شرح أعلام الورى الأعلام بمن ولي قضاء الشام .
 〃 : نهاية العبر في نفوذ القضاء والقدر بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر .
 〃 : نهاية الاتعاظ وغاية الاعتبار فيما وجد على القبور من الأشعار .
 〃 : النطق المبني عن ترجمة الشيخ المحيوي بن عربي[١] .

(١) الغوطة اسم مشتق من الغائط وهو المطمئن من الأرض . وجمعة غيطان وأغواط . وقال ياقوت بعد ذكره بيت حسان بن ثابت الأنصاري :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

البريص اسم يطلق على الغوطة بأجمعها . وقال الأستاذ كرد علي : مساحة الغوطة ٤٠٦٠٠ هكتار أي نحو خمسة وستين الف فدان والفدان ست دونمات وكسر والدونم مبذر مد من الحنطة . والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً ، والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . انظر مجلة المجمع العلمي ١٠/ص ١٥٨ .

(٢) قال الأستاذ كرد علي : ذكر ابن طولون ان في الغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس وقرى الغوطة اثنتان وأربعون قرية واهمها من حيث وفرة السكان دومة حاضرة الغوطة الشمالية وداريا حاضرة الغوطة الجنوبية . أقول أما القرى التي ذكرها ابن طولون في الرسالة التي ننشرها فثمان وستون لاسبعون كما يذكر الأستاذ كرد علي . وقد اندرست قرى رمزنا اليها في العدد الماضي بنجمة هكذا [*]

(٣) قال الأستاذ كرد علي كانت قرب عربيل وقال ياقوت هي من قرى

(١) هنا تبدأ التعليقات على الرسالة المنشورة في العدد الماضي ابتداء من ص ١٥٢ .

دمشق خرج منها احمد بن مكي وقال Dussaud ص ٢٩٤ عنها وعن ارزة انها قد اندرستا ولا يعرف بالضبط موضعها . وانظر ياقوت ٢٠٨/١

(٤) هكذا بياض بالأصل وفي الخزانة الشرقية للزيات ص ٢٣ : (ولي الآن بها بيت) وهو محرف ويقول (ولها حدود) بدل (ولها حكر) وهو تحريف أيضاً .

(٥) البحدلية ويقال لها دير بحدل قال عنها Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب شرقي الشام وأما بيت رانس ويقال لها أيضاً بيت ارانس فانظر ما قال عنها ياقوت ص ٧٧٥ وانظر Dussaud ص ٢٩٥ .

(٦) في المخطوطة (بيت شحم) ويقول الأستاذ كرد علي [بيت سحم] بالسين وهي اليوم مشهورة بذلك .

(٧) قال ابن بطوطة : في شرق البلد [دمشق] قرب بيت إلاهية وكان فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملون المنظمة بأعجب نظام وهي غير بيت لاها التي بين انطاكية وحلب . انظر ياقوت فانه يقول عنها بيت لِهيا كذا بلفظ به والصحيح بيت الآلهة . ويقول Dussaud ص ٢٩٥ ان موضعها بالضبط : شمالي دمشق يمين طريق برزة .

(٨) قال الاستاذ كرد علي كانت موضع طاحون الأشنان في غرب دمشق تدخل فيها قرية النيرب .

(٩) رد على هذه الأقوال وعلى من قال ان سيدنا ابراهيم ولد فيها ياقوت في كلامه على — برزة — فارجع اليه وانظر ما كتبناه في كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وانظر Dussaud ص ٢٩٦ .

(١٠) هكذا في الأصل ولم اهتد الى المراد به فليحقق وفي الخزانة ص٤٤ وادي الجوز

(١١) بَرزة هي شرقي جبل الصالحية وحارة الأكراد اليوم ومنها يذهب الى وادي حلبون وزبدين وبعلبك (انظر Dussaud ص ٢٨٦ وص ٢٩٦) . وبخصوص برزة انظر ما كتبته Lady Burton في كتابها [Enner life of Syria] chap.X.

(١٢) يقول Dussaud ص ٢٩٤ : بالا : هي شرقي زبدين ما يزال

فيهـا بعض أعمدة وآثار هيكل المذبح . وانظر ما كتبه عنها : Souvire في II , 159 , 238J . A. Descr . Damas

(١٣) لم أعثر على ذكر لهذه القرية فيا بين يدي من المصادر وفي الخزانة ص ٤٤ برنايا [بالياء] .

(١٤) يقول Dussaud ص ٢٩٥ : هي شرقي جسرين وقد ذكرها Souvaire في II , 265 Descr Damas .

(١٥) يقول Dussaud ص ٢٩٦ : هي غرب جسرين والنسبة اليها بسواني . وقد ذكرها ياقوت ج ١ ص ٧٧٨ . و LeSrtange في Palestine under the Muslems p. 205 ؛ Souvaire في Descr . Damas , II 239 .

(١٦) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل شمير هي شرقي صحيا ولا يزيد .

(١٧) لا يذكر " هذه القرية وانما يذكر تل الذهب قرب جسر الشغور ص ١٦١ وتل الذهب قرب حماة ص ٢١٢

(١٨) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل كردي بين عذرا وريحان .

(١٩) يريد بقوله «أهلها» [أهل الغوطة] . ويقول الأستاذ كرد علي: أصبح سكان الغوطة على توالي السنين مسلمين من أهل السنة وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا الشرقية وكان جميع أهل جوبر يهوداً الى ما بعد القرون الوسطى وقد استغرب ابن طولون ان اهل جرمانا تيامنة وقال وهذا عجيب ... الخ . اما ياقوت فيذكر جرمانا ثم يذكر جرمانس ويقول ولعلها جرمانا . وانظر ما قاله Dussaud ص ٢٩٩ .

(٢٠) يقول Dussaud ص ٢٩٩ جوبر شمال شرقي دمشق وفيها كنيس يؤمه يهود دمشق وينقل عن Memoires D'Arvioux , II , 461 ؛ انها في زمنه كان كل سكانها يهوداً .

(٢١) يذكرها ياقوت ٢/٨٢ . و Le Strange ص ٤٦٤ و Souvaire 1994.I.398

ويقول Dussaud ص ٢٩٩ هي شرقي بيت سوا وفيها بقايا آثار قديمة وكانت أرضها تنتج كثيراً من الخشب ·

(٢٢) ذكرها Dussaud ص ٢٩٩ وقال هي غربي العتيبة · وأما وظيفة ثالث مقدمي الألوف فاحدي وظائف المماليك ومقدمو الألوف اربعة انظر ما كتبه عنهم دومومبين في كتابه سوريا في عهد المماليك Gaudefroy - Demombynes La Syrie à l'epoque des Mamlouks . Paris 1923

(٢٣) يذكرها Dussaud ص ٣٠٣ ويقول انها غربي بيت سوا ·

(٢٤) يسميها الناس الآن حموري [بالف ممالة نحو الكسرة Hammorè] ويقول Dussaud هي شرقي دمشق وينبغي ان تكون هي قرية حمورية القديمة وفي الغالب أنها غير قصر الحميرة التي ستذكر فيما بعد · ونجد في النصوص القديمة ذكر قرية اسمها حمارة في المرج الشمالي، وقد ذكرها ياقوت ٣٤٠/٢ و Le Strange ص ٤٤٨ و Souvaire 1894,II,340,I,428 ·

(٢٥) يذكر هذه القرية Dussaud ص ٣٠٤

(٢٦) يذكر ياقوت قريتين باسم حرستا (احداهما) مأهولة كثيرة السكان تبعد مرحلة عن دمشق وهي على طريق حمص أقول وهي التي تسمى اليوم حرستا البصل وهي التي سماها ابن طولون حرستا الزيتون · وهي التي حاول بعض المستشرقين ان يسميها قرية Carsatos القديمة التي كانت تبعد أربعة أميال عن دمشق والتي كان فيها كنيسة للقديس تيودوروس انظر الهامش رقم (٥) من ص ٣٠٢ في كتاب Dussaud · (والثانية) شرقي دمشق وهي المسماة بحرستا القنطرة وربما حرفها بعضهم الى حرستا المنظرة يقول Dussaud ص ٣٠٢ ان طابع كتاب ياقوت قد حرفها خطأ الى حرستا المنظرة · أقول وقد وجدت هذا الاسم هكذا في كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي فقد كتبها بخطه حرستا المنظرة فلعلها تسمى بالاسمين · وهي اليوم مشهورة باسم القنطرة · ويذكر Dussaud ان سكان حرستا القنطرة وعقربا تركوهما مرة حينما أغار الصليبيون على دمشق ·

(يتابع) م · أسعد طلس

تاج الدين الكندي

هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي [1] وهو الذي تنسب اليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق ·

نشأته : ولد سنة (٥٢٠) ببغداد · وتوفي سنة (٦١٣) بدمشق [2] فتكون مدة حياته (٩٣) سنة اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط ابي منصور الخياط وكان مقرئاً لغوياً نحوياً حنبلي المذهب فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغوياً حنبلياً وكان أصغر تلامذته وأنبلهم وآخرهم قراءة عليه ·

وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك فترك المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي ولا نعلم العامل له على ذلك وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول ·

ولكننا نعلم انه في شبابه غادر بغداد معقل الحنابلة وأخذ عن علماء الشام وان آخر عهده ببغداد سنة (٥٦٣) فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخليع من الثياب فيبتاعها ويسافر الى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود الى حلب [3] فمن الجائز ان يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفية وان يكون تحوله الى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ ·

---

(١) معجم الأدباء طبع مصر [١١ ـ ١٧٢] وبغية الوعاة [٢٤٩] وفيها (زيد بن الحسن) مكررة ثلاثاً (٢) يتفق كل من ترجمه على وفاته في هذا العام إلا ماجاء في معجم الأدباء لياقوت من ان وفاته سنه [٥٩٧] ولا شك في خطأ هذا النص خصوصاً وان اجازة الكندي بشرح معاني الآثار التي وقع في آخرها بيده كان تاريخها في سنة [٥٩٨] ومن الغريب أن يشير ياقوت اليه في عدة مواضع في معجميه بقوله : شيخنا ولا يشير الى ذلك في ترجمته ويغلط في تاريخ وفاته مع ان الراجح ان اجتماع ياقوت بالتاج الكندي كان بعد سنة [٥٩٧] وهذا ما يجعلنا نرجح بأن تدليساً ونقصاً وقعا في النسخة الخطية التي طبع عنها معجم الأدباء في ترجمة الكندي

(٣) ابن خلكان [١ — ٢٠٥] وانباه الرواة للقفطي راجع [١١ — ١٧١] معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ·

شيوخه في علم القراءات : اعتنى به شيخه سبط الخياط عناية فائقة لشدة ذكائه وصغر سنه فحفظه القرآن الكريم ثم أقرأه بكل ما قرأ به على شيوخه من علم القراءات ككتب ابي العز القلانسي ، والكامل للهذلي ، والاتضاح والايضاح والوجيز والاقناع الأربعة للاهوازي وغير ذلك من الكتب ولم يكتف في تلقينه ماعنده من علم ورواية بل جهزه الى أبي القاسم هبة الله بن الطبر فقرأ عليه ست روايات أخرى ثم جهزه الى ابي منصور بن خيرون وابي بكر خطيب الموصل وابي الفضل بن المهتدي فقرأ عليه بالروايات الكثيرة فكان قارئاً من الطراز الأول ويذكرون من شدة ذكائه وقوة حافظته انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وجمع الروايات العشر وهو ابن عشر ويعتبره ابن الجزري وغيره بأنه اعلا اهل عصره أسناداً في القراءات والحديث لأنه عاش ثلاثاً وثمانين عاماً بعد أن جمع القراءات [1] .

شيوخه في الحديث : روى علم الحديث عن ابن ناصر وابن السمرقندي والانماطي وسعد الخير ومحمد بن عبد الباقي الانصاري وابي منصور القزاز وغيرهم [2] .

شيوخه في الأدب والعربية : معظم مشايخه في اللغة العربية من أساتذة المدرسة النظامية كأبي منصور الجواليقي وابي السعادات ابن الشجري وابن الخشاب فقرأ عليهم كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والحجة لأبي علي الفارسي وأمثال هذه الكتب . [3]

اشتغاله بالتجارة : كان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعتماد على جده فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف بل كان يشتغل بالتجارة واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر [4] ولذلك لا نجد له ذكراً في اسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس .

---

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة نسخة مصورة بالمجمع العلمي بدمشق وغاية النهاية [١-٢٩٧] وتنبيه الطالب مخطوط وشذرات الذهب [٥ - ٥٤] وبغية الوعاة [٢٤٩]

(٢) و (٣) المصادر السابقة (٤) إنباه الرواة بأخبار النحاة للقفطي [في تعليقات معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٥ - ١٧١] وابن خلكان ١ - ٢٦٥ .

اتصاله بالملوك الايوبيين : دخل مترجمنا دمشق فمصر واقتنى عدداً من الكتب القيمة التي بيعت من خزائن الفاطميين [١] واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره . وصدف أن زار عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه [٢] ابن أيوب القاضي الفاضل في داره فجرى ذكر بيت من شعر ابي الطيب المتنبي وكان تاج الدين حاضراً فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشاه فسأل القاضي عنه فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشاه وقبض على يد تاج الدين وخرج به الى منزله ودام اتصاله به [٣] ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين فقرأ عليه عز الدين فرخشاه وابنه الأديب الشاعر الملك الأمجد صاحب بعلبك . والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك المحسن وهذان ابنا صلاح الدين . وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتأبط كتابه كالطلبة فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجمي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي) وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه فينتظر الى أن تأتي نوبته . وقد قرأ عليه المفصل للزمخشري والايضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه وديوان الحماسة وأمثال هذه الكتب [٤] .

---

(١) انباء الرواة ، وابن خلكان .

(٢) شاهنشاه هو اخو صلاح الدين الأيوبي استشهد سنة (٥٤٣) حينما حاصر الافرنج دمشق وهو جد ملوك حماة وبعلبك الأيوبيين . أما ولده عز الدين فرخشاه فهو أول ملوك بعلبك وكان عمه صلاح الدين يجعله نائباً عنه على دمشق حين يغيب عنها ويقول صاحب الشذرات عنه : كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب وكان للتاج الكندي به اختصاص توفي بدمشق سنة (٥٧٨) ودفن في قبته التي بمدرسته المطلة على الميدان في الشرف الشمالي — ولا تزال القبة موجودة حتى الآن غربي مدرسة التجهيز الأولى مطلة على المرجة — وله شعر حسن منه :

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

(٣) ذيل الروضتين لأبي شامة . (٤) ذيل الروضتين .

تلاميذه : لا نكون من المغالين اذا قلنا انه كان أكثر علماء عصره تلامذة وطلاباً · ومن يتتبع تراجم أهل عصره ومن بعده يجد ان أكثر العلماء والأدباء والشعراء والرواة والمحدثين ينتسبون الى التلمذة عليه ويجد أكثر الأسانيد تجيء عن طريقه · ويقول ابو شامة عن درب العجمي الذي كانت فيه دار التاج الكندي : فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته ، اولاد الملوك وخدمته ، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ، ليعلم جلالة من كان يتردد اليه (١) فممن اخذ عنه ياقوت الحموي صاحب معجمي الأدبا والبلدان ، وعمر بن احمد الشهير بابن العديم ، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ورضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وعبد الرحمن المسجف الشاعران وابن معطي النحوي صاحب الألفية ولو أردنا استقصاء من اخذ عنه من علماء وأدباء وشعراء وحكماء واطباء ومحدثين ومحدثات وقراء ونحاة لبلغ عددهم المآت ·

ومن حسن الصدف اننا وقفنا على المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار وعليها طبقات سماع بعد أن قرئت عليه في المقصورة التاجية وسننشر نصها في العدد الآتي من هذه المجلة ·

مميزاته العلمية : امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق · والظاهر ان علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها ببغداد الا بواسطة الكندي · وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية الى الشام · ويقول ابو الحسن السخاوي في شرح المفصل : لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره واخذت عنه كتاب سيبويه وقرأت عليه كتاب الايضاح لأبي علي مستشرحاً وأخذت

---

(١) ذيل الروضتين

عنه كتاب اللمع لأبي الفتح . وكان واسع الرواية ومن العجب ان سيبويه اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك :

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
فهما زيد وعمرو انما بني النحو على زيد وعمرو [١]

أما مميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث قصده الطلاب من أنحاء العالم الاسلامي لعلو اسناده فيها . قال الحافظ الذهبي : كان أعلا أهل الأرض اسناداً في القراءات . فاني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره ... ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث [٢] .

أخلاقه : لئن وصفه تلامذته واصدقاؤه بدماثة الأخلاق وحسن العشرة [٣] فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس . وبالحقيقة كان حسن المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاظمين من أقرانه ومنافسيه . وبديهي ان من نال منزلة مثل منزلته وحظوة عند الملوك مثل حظوته ان لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه ، ويزهو في تعاظمه وكبريائه . فعبد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه ، والمتنقص لأكثر علماء عصره اجتمع به فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه : اجتمعت بالكندي البغدادي النحوي [٤] وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه وجرى بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى الناس منه [٥] ونرى التاج الكندي يحتقر عبد اللطيف البغدادي فيلقبه بالجدي المتحي [٦] .

(١) ذيل الروضتين (٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢١٧ (٣) ذيل الروضتين . البداية والنهاية ٣ ـ ٧٢ . الصفدي في الوافي بواسطة تنبيه الطالب مخطوط بغية الوعاة للسيوطي .
(٤) اجتماعه به كان في دمشق (٥) عيون الأنباء ٢ ـ ٢٠٦ (٦) فوات الوفيات ٢ـ٨

ونجد القاضي جمال الدين القفطي — وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق وعنده من الاعجاب بنفسه ما عند الكندي - حينما يترجم الكندي يقول عنه : كان ليناً في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقوله . واذا نوظر جبه بالقبيح واستطال بغير الحقيقة ولم يكن موثوق القلم فيما يسطره [1] .

وجرت له مهاترة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (٦٠٥) فقد جمعهما مجلس عند الوزير الصفي بن شكر فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى الى قول ابراهيم عليه السلام (انما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ) بفتح اللفظتين فقال الكندي وراءُ وراءُ بضمهما فقال ابن دحية للوزير ابن شكر من هذا ؟ فقال هذا ابو اليمن الكندي . فنال منه ابن دحية وكان جريئاً . فقال الكندي : هو من ? كلب ينبح [2] أنت تكذب في نسبك الى دحية الكلبي ودحية باجماع المحدثين ماعقب وقد قال فيك ابن عنين :

دحية لم يعقب فلم تنتمي اليه بالبهتان والافك
ماصح عند الناس فيه سوى انك من كلب بلا شك [3]

ثم الف ابن دحية كتاباً سماه الصارم الهندى في الرد على الكندي والف الكندي كتاباً سماه : نتف اللحية من ابن دحية [4]

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي انه قال أحلت على ديوان حماة برزق فسرت اليها لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر [5] وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريباً فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة . فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقنا [6]

(١) انباه الرواة (٢) البداية والنهاية ١٣ ـ ٥١ (٣) شذرات ٥ ـ ١٦٠

(٤) معجم الأدباء ١١ ـ ٢٧٥ (٥) هو محمد بن ظفر الصقلي صاحب التآليف الممتعة منها كتاب سلوان المطاع توفي سنة [٥٦٥] تراجم ترجمته في ابن خلكان [١ : ٦٦٠]

(٦) المصدر نفسه .

مؤلفاته : قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس ٠ لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس ٠ والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعادعن الناس وشيخنا الكندي — وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والمماليك العديدة الذين أعتقهم ورفدهم بعلمه وماله — غير مدفوع عن التأليف والتصنيف ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد ان كرس وقته للافادة والتدريس وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين ٠ وقد ذكر ياقوت في معجمه ان مؤلفاته هي : تعليقات على ديوان المتنبي ، وأخرى على خطب ابن نباتة ، وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي ، وكتاب في الفرق بين قول القائل : طلقتك ان دخلت الدار وبين ان دخلت الدار طلقتك الفه جواباً لسؤال ورد عليه ، وله غير ذلك ويتضح مما ذكر ان تآليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة ٠

مواليه : كان الكندي كثير الاحسان الى الموالي والرقيق فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم منهم « النجيب ابو الدر ياقوت » سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره ٠ ويقول عنه ابن كثير : كان لديه فضيلة وأدب شعر جيد وتوفي ببغداد سنة (٦٢٣) [١] وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية ٠

ومن مواليه وتلميذاته « ست العرب » روى عنها شيخ الاسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن اربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا اسمع في رمضان سنة (٦٨١) [٢] وترجمها صاحب الشذرات بقوله : ست العرب بنت يحيى بن قايمازام الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاهم التاج الكندي وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات توفيت في المحرم عن خمس وثمانين سنة (٦٨٤) [٣]

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٣ ـ ١١٦ ومجلة المجمع ص ١٢٩ من هذه السنة (٢) الاربعين المذكورة [المطبعة السلفية بمصر سنه ١٣٦١] ص ٣٦ (٣) شذرات الذهب ٦ ـ ٣٨٥

شعره : وللشيخ تاج الدين كثير من الشعر المبثوث في مطاوي الكتب . منه قوله في الربوة أعظم متنزهات دمشق لما جدد بناءها نور الدين محمود بن زنكي وجعل الأكل والنوم فيها مجاناً :

ان نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصراً شاهقاً نزهــة مطلقــة للفقراء [1]

وكتب الى صديقه مهذب الدين ابي طالب محمد المعروف بابن الخيمي :

أيها الصاحب المحافظ قد حمــلتنا من وفاء عهدك دينا
نحن بالشام رهن شوق اليكم هل لديكم بمصر شوق الينا
قد غلبنــا بما حرمنا عليكم وغلبتم بما رزقتم علينــا
فعجزنا عن ان ترونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لدينــا
حفظ الله عهد من حفظ العــهد وأوفى به كما قد وفينــا [2]

ومن شعره فيما رواه عنه الرشيد العطار :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تمنيت في شرخ الشبيبة انني أعمر والأعمار لا شك ارزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني من العمر ماقد كنت أهوى وأشتاق
عرتني أعراض شديد مراسها علي وهم ليس لي فيه اغراق
وها أنا في احدى وتسعين حجة لهــا في ارعاد مخوف وابراق [3]

وفاته : توفي سنة (٦١٣) ودفن بسفح قاسيون وبني عليه قبة وجعلت له تربة وقد ترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب وكذا العلموي والبقاعي (بالتربة التاجية) وذكروا انها بالصالحية في سفح قاسيون . أما في عصرنا فهي مجهولة لدينا .

محمد أحمد دهمان

---

(١) نزهة الأنام للبدري ص ٨٤ (٢) وفيات الأعيان ١-١٦٦ (٣) المصدر نفسه وانباء الرواة للقفطي في تعليقات معجم الأدباء ١١-١٧٦ (٤) معجم الأدباء لياقوت ١١-١٧٤

مخطوطات ومطبوعات

شروح سقط الزند (قسمها الأول)

كنت قلت في بعض ما كتبته عن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (أرأيت السيل بعد مضيّه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعاً مرعاً للمنتجعين ونُزُلاً كريماً للمجدبين . كذلك مهرجان أبي العلاء فانه ترك بعد انقضائه آثاراً لأبي العلاء وفي أبي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفد فرائدها) وقد كان أنشط العاملين في ابراز تلك الآثار العلائية وزارة المعارف المصرية فانها ألفت لجنة دعتها (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) عكفت على جمع اخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره . وعزمت على إصدار تلك الأخبار والآثار اسفاراً متسلسلة فكان السفر الأول هو الذي سمته (تعريف القدماء بأبي العلاء) وضمنته النصوص المتعلقة بتراجم ابي العلاء وأخباره الخاصة ، وطبعته ونشرته سنة ١٩٤٤ م أي خلال أيام المهرجان وقد قرظناه في مجلة المجمع (مجلد ١٩ ص ٥٤٥) وها هي ذي اللجنة اليوم تهدي الينا السفر الثاني من تلك السلسلة المطبوع سنة ١٩٤٥ م (قسمه الأول) وسيتلوه بالطبع ثلاثة الأقسام الأخرى وقد ضمنت هذه الأقسام الأربعة شروحاً ثلاثة لأشعار أبي العلاء المسماة (سقط الزند) واقتصرت اللجنة من شروحه الثمانية المشهورة على نشر هذه الشروح الثلاثة وهي : (١) شرح التبريزي (ابي زكريا يحيي بن علي تلميذ المعري ٤٢١ — ٥٠٢) و (٢) شرح البطليوسي (ابي محمد عبد الله بن السيد ٤٤٤ — ٥٢١) و (٣) شرح الخوارزمي (ابي الفضل قاسم بن حسين ٥٥٥ — ٦١٧) وانما اقتصرت اللجنة على الثلاثة من الثمانية لأن ثلاثة منها مفقودة لم تظفر اللجنة بها . وواحداً منها (وهو الشرح الذي صنفه أبو العلاء نفسه) مختصر مدمج في شرح تلميذه التبريزي . والواحد الباقي وهو شرح التنوير استغني عنه لأن مؤلفه أبا يعقوب أُخوّيي (تناول شرح التبريزي بالتهذيب والتنقيح وسار معه في كثير من المواضع على نهج واحد حتى أنه نقل كثيراً من عباراته كما هي ولهذا التقارب والتشابه ولأنه طبع قبل اليوم عدة طبعات ضربت

اللجنة صفحاً عن نشره) وقد افتتحت اللجنة هذا القسم الأول الذي أصدرته (بتقديم) استوعبت فيه جميع ما ينبغي ان يقال في هذا المقام من وصف الشروح الثمانية التي وصل اليها علمها ثم وصف الثلاثة التي نشرتها وتراجم أصحابها وطبع نموذجات من مخطوطاتها وغير ذلك من الملاحظات التي فيها متعة للقارئ وهداية للحريص . وقد سلكت في طبع الشروح الثلاثة طريقة بكراً تسهل على القارئ فهم ما يقرأ من أشعار سقط الزند . ذلك انها تذكر البيت من القصيدة وتذكر ما قاله التبريزي في شرحه عليه أولاً وتعقبه بما قاله البطليوسي ثانياً ثم الخوارزمي ثالثاً ثم تعود الى البيت الثاني من القصيدة نفسها فتذكر ما قاله الثلاثة بحسب ترتيبهم السابق . حتى تمّ للجنة اربع عشرة قصيدة من أشعار السقط مطبوعة على ورق جيد طبعاً حسناً في مطبعة دار الكتب المصرية . وقد ضُبط بعض الكلمات بالشكل وخُصّ بعض المواطن المغلقة بالشرح . فجاء هذا القسم من السفر في ٤٧٠ صفحة كبيرة ليس بعد ما فيها من الإتقان استزادة لمستزيد . ثم ان قول اللجنة في المقدمة بصدد الشروح الثمانية التي وصفتها : (وليست هي كل الشروح التي تصدّت لسقط الزند ولكنها مبلغ ما وصل علمنا اليه . وأمكننا استخلاصه من التاريخ) — قولها هذا يفسح لي المجال لذكر الشرح المخطوط الذي في مكتبتي وأُرجح انه المخطوط الوحيد لهذا الشرح واسمه (سَقَط العقيان والحلي لعروس ديوان ابي العلا) أو (ضوء الفند من سقط الزند) والشارح هو العلامة الشيخ محمد ابن نور الدين الدرّا الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦٥ ه ونَسْخُ المخطوطة كان بعد وفاة المؤلف بثلاثين سنة . وقد ترجم المحبي للمؤلف في تاريخه خلاصة الأثر (جزء ٤ ص ٢٤٩) ووصفنا نحن هذا المخطوط وصفاً مسهباً في كلمة لنا منشورة في الكتاب الذي أصدره مجمعنا العلمي وسماه (المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري) ص ٢٧٠ ولعل (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) اطلعت على كلمتنا في وصف هذا الشرح وأضافت اسمه الى الشروح التي أحصتها . وهي لعمري جديرة بالشكر والثناء على ما تبذله من العناية وعظيم الجهد في تتبع هذه الآثار . وإصدار هذه الأسفار .

المغربي

من وحي المرأة

للشاعر المصري عبد الرحمن صدقي

ديوان صغير الحجم في ٦٠ صفحة يشتمل على نيف وثلاثين قطعة من الشعر بين قصيدة ومقطوعة • كله في رثاء امرأة الشاعر ماري التي نذر لها التأبد بعدها وفاء لها ورعاية لماضي صحبتها • فقضى غير مشفق على نفسه بالتبتل وقلبه بألا يخفق لربة دل أو تطمع باصطياده ذات حسن أو غنج وقد شاء ان يكون هذا بعهود أخذها على نفسه وسجلها في ختام بعض قصائده فمنها قوله :

سأحيا كميت لم يغيب بلحده يظللني ليل من الهم مظلم

وأضرب فى صحراي في غير غاية الى ان يوافيني القضاء المحتم

وقوله: أجل كان لي قلب وزوج حبيبة فلما قضت زوجي قضيت على قلبي

« وهأنذا ان طال بي العمر صائر لشيخوخة حسرى بغير معان

ولا يخفى ان هذا النوع من الوفاء بالاعراض عن النساء جملة ان حسن عند بعض فلا يعدو أنه ضرب من ضروب تعذيب النفس وشيء من العقوبة لها على ما ليس لها فيه جريرة أو ذنب • كما انه لا يخلو من تأديب لها وتهذيب على ما فرط من اندفاعها وشدة استرسالها في التعلق بما لا ضمان ببقائه •

ولهذا او لما هو اشد منه ظهوراً أو تواريا من الاحتفاظ بالرجولة تامة والجري في طاعة نخوة الفحولة كاملة والحذر من الصيرورة الى ما قد يفضي الى الخور رغب العرب الا القليل منهم عن الجهر ببكاء المرأة زوجة وذهبوا بأنفسهم صعداً عن رثائها حليلة •

فمن بعض الأدلة على هذا ان الفرزدق لما ماتت زوجه النوار وامتنع عليه الشعر فيما زعموا في رثائها لعنجهيته وجفائه لم يجد بداً وقد حز به الأمر وزعزعت من أركانه الفاجعة من أن يركب أحد حدي شر اما اكراه طبعه على شعر يبكيها به واما التمثل من قصيدة أعدى أعدائه جرير في رثاء خالدة أم أولاد

جرير بما ينفس من كربه ويذهب ببعض الشيء بحزنه وسرعان ما ركب أهون الشرين وفضل أيسر الخطبين وما هو أقل نيلاً من نخوته وكسراً لانفته فتمثل بملء فيه :

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولَّهت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار
ولقد أراكِ كسيت أجمل منظر ومع الجمال سكينة ووقار
لا يلبث القرناء ان يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

الى آخر ما تمثل به ولو وجد الفرزدق في شعر غير جرير ما يترجم عن لوعته ويبرد شيئاً من غلته لفزع اليه ولجعل معرجه عليه ولكان متنحاه بعيداً عن قصيدة ثلاثة أرباعها في هجائه .

وان في قول جرير لولا الحياء لدليلاً كل الدليل على ما وقر في نفس العربي من العزة عن بكاء المرأة ورثائها حتى عن زيارة قبرها ولا غرو فقد كان هذا من العرب وما هو أشد منه حين كان عهدهم بالبداوة قريباً ونفرسهم على ما تأصل فيها من قسوة وامتناع وصعوبة انقياد الى ما توجبه الحضارة من دماثة ولين .

على انه لن يحسن بنا في حال ان ننسى ان الناس مهما بلغت في بعضهم صلابة الاكباد وقسوة الأفئدة الا الجبابرة العتاة من المتردين على ذلة العشق وهوان الهوى وضراعة الحب ، مدينون لهذا الفريق من الشعراء حملة الأكباد المقرحة والقلوب المتصدعة والأحشاء الكليمة والترائب الملتهبة يذكرون الناس كما نسي الناس برقائق الاعراب وحرق أهل الحضر وذوي اللوعات الصادقة الوفية منهم . وأنى لا يكون الناس مدينين لهم وقد عمدوا الى افئدتهم واكبادهم ونفوسهم وأرواحهم فصهروها في بوتقة الألم على لهب التوجع والتفجع ثم سكبوها دموعاً وأرسلوا الدموع شعراً تركوه وقفاً على كل ثاكل بمثل ما ثكلوا يبكي بها متى شاء كما يشاء . اذ ليس في طوق أحد أن يعير أو يستعير عيناً يبكي بها .

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار

ولكن في استطاعة أي انسان ان يعمد الى هذا النوع من الدموع المسكوبة شعراً يعوذ به بقدر ما ينقع من غلته كما فعل الفرزدق وهو ما هو شاعرية وترفعاً وكبرياء

وقد تخلل الديوان رسائل ثلاث الى صاحبه من الأساتذة الأدباء توفيق الحكيم وعباس محمود العقاد وعزيز أباظة فيها من الثناء على ما وفق اليه الشاعر في تصوير آلامه وهول فجيعته وارسال لوعته ما يشير الى الصدى وبعد المدى الذي أحدثته بين الأدباء قصائد (من وحي المرأة) أيام نشرها متفرقة في الرسالة والثقافة وذلك مما يغبط عليه الشاعر ويهنأ .

فالديوان بجملته آية من آيات حفاظ عهد المرأة وازماع الاقامة على مودتها بعد الموت قلما يعثر على مثله في مختلف الأعصار والأمصار وسيبقى مع أمثاله مفزعاً لكل من تعمد الدهر فجيعتهم بجلائلهم الغاليات . فهو يوشك أن يكون ثالث ثلاثة لشعر متمم بن نويرة في أخيه مالك وديوان الخنساء في أخيها صخر

ومما يستوقف نظر القارئ في (من وحي المرأة) غير حرارة التعبير عن العاطفة الحائرة والحسرة المتأججة والحرقة الغالبة هو تلك القوة التي أرادها الشاعر ارادة وعمد اليها عمداً حين خشي ان يقوده الضعف عن احتمال الكارثة الى الضعف في حوك الشعر ونسجه فكان حريصاً كل الحريص على ألا يطلع به على الناس إلا مزوداً بنصيبه من الجزالة وحظه من القوة التي كانت تساير الشاعر في أكثر خطواته وهو ينظم ديوانه حتى لقد انتهت به الى النجوة من أكثر ما يتعرض له معالجو شؤون المرأة وما تقتضيه من سعي وراء الرقة والنعومة مما قد يكون مدرجة الى اللين ومنحدراً الى الركة .

فمن الأدلة على ارادته هذه من تجنب الضعف ولياذه بكنف الجزالة انه لزم البحر الطويل بحر القوة ومعرض الفخامة والفحولة في كل الديوان فلم يخرج عنه الا في قصيدة واحده هي لوعته الأولى (أنة الزوج الثاكل) في عنوان الصدمة قبل التفكير . كما أنه مما يذب عن الشك ولو الى قليل من اليقين ان كثيراً من عواطف الشاعر أو ما يجب أن يكون من العواطف قد حجبته ارادة

القوة هذه أو حالت دونه فبقي متغلغلاً في جوانح الشاعر معتصماً بين الصلب والترائب يأبى ان يزحزح الا الى مطمأن من رقة اللفظ ونعومة مس الوزن فهو جاد في استثارته بما يقذف به الى الصحف من القصائد وان كان مقيماً على وفائه للبحر الطويل ٠

وأما احتشاد الشاعر وحفاوته بأن تكون لغة الديوان سليمة تدل على ما انتهى اليه حذقه اللغوي وتحرجه من الوقوع فيما لا يرضي العربية والساهرين لها وعليها فهو ظاهرة من ظواهر الديوان ملموسة تلازم القارئ ملازمة تحول بينه وبين ان ينصرف عنها أو يتلهى بسواها ٠ هذا وان كان هناك الفاظ ادّى اليها الاسراع في اخراج الديوان على ما قذفته القريحة لا ما يقتضيه التنقيح والتهذيب مما لم يخل من مثله ديوان أو كتاب ولو لا ذلك لكان للشاعر عنها مندوحة واسعة ومستراد رحب ٠ فمن تلك الألفاظ على قلتها (بضعة) في قوله في صدر الديوان :

فأمسيت منعي في صحيفة أخبار وبضعة أشعار وصورة تذكار

وفي الديوان ما يربي على الثلاثين و (الموصد) ارى بابك المطروق امسى موصداً و (المحتم) ٠ الى ان يوافيني القضاء المحتم ٠ وحتّم والمحتم وتحتم بنتها قلما كتبت النجاة منها لكاتب أو شاعر اليوم على انه ان صح ما يدعو اليه بعض أهل اللغة من ان وجود تفعّل اللازم المطاوع لفعّل المشدد دليل على وجود فعّل هذا وصح ما حكاه الفيومي في المصباح وهو قوله (الحتم وتحتم الأمر وجب وجوباً لا يمكن اسقاطه) فهي حينئذ صحيحة : ولكن قولة صاحب المصباح هذه حكاية انفرد بها ولم يعزها الى أحد وليس أحد من شراح الحديث يشاركه بروايتها والظن كل الظن انها عن اخوانه الفقهاء ذكرها غفلة أو عصبية لهم فهي بلفظها وتفسيرها من بضاعتهم وتعابيرهم وعليها طابعهم معدودة على الفيومي في جملة ما انفرد به في مصباحه مما يجب ان يفرد له كلمة فيما سها ذوو المعجمات فأثبتوه ذهولاً عما اخذوه على أنفسهم من عدم الخروج عن أمانة النقل ٠

محمد البزم

هنري برجسون : منبعا الأخلاق والدين

تعريب سامي الدروبي وعبد الله الدائم ، طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عدد صفحاته ٢٨٥ من القطع الوسط

كان المترجمون المعاصرون لا يحسنون اختيار الكتب التي يترجمونها ، فينقلون الى اللغة العربية كتباً سهلة لا تلذ مطالعتها الا لجمهور القراء من غير الاختصاصيين . فكان القارئ العربي يظن مثلاً ان أعظم فيلسوف اجتماعي فرنسي هو (غوستاف لوبون) لأن احمد فتحي زغلول وغيره قد ترجموا بعض كتبه ، مع ان (غوستاف لوبون) ليس من علماء الطبقة الأولى . وما أورده في علم الاجتماع والتربية كثير الشكوك . واذا أخذ علم الاجتماع عن (غوستاف لوبون) دون ان يرجع الى ما جاء به (دور كهايم) و (لفي برول) لم يوصل به الى الكمال .

والسبب في ميل المترجمين الى اختيار الكتب السهلة يرجع الى خوفهم من التعب ، او الى عجزهم عن تفهم كتب الاختصاص ، أو الى رغبتهم في الربح المادي والشهرة السريعة . لذلك بقيت كتب لوك وليبنيز وهيجيل وكنت وشوبنهاور وبرجسون مجهولة عندنا . وما نقل الى اللغة العربية من مذاهب هؤلاء الفلاسفة ، خال من الصفة العلمية الحقيقية . حتى ان كبار المترجمين الذين نقلوا بعض كتب أرسطو الى اللغة العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن الفرنسية .

أما السيدان سامي الدروبي وعبد الله الدائم فقد أحسنا الاختيار ونقلا كتاب منبعي الأخلاق والدين الى اللغة العربية بكل أمانة علمية . ومع ان بعض عبارات ترجمتها لا تخلو من الغموض ، فانها لم يخرجا بالجملة عن الأصل . حتى لقد أدت رغبتهما في المحافظة على الأصل الى ضياع قسم كبير من سحر الاسلوب البرجسوني .

وقد صدرا الكتاب بمقدمة عامة مشتملة على مذهب (برجسون) في الابداع والديمومة ووثبة الحياة . وذكرا كيف انتهت الفلسفة البرجسونية الى البحث في

الأخلاق ، وكيف أتم هذا الكتاب الجديد مذهب برغسون في الخلق الدائم والزمان والتطور . فقد فرق فيلسوف الحدس في كتاب الزمان والحرية بين المكان والزمان ، وفي كتاب المادة والذاكرة بين الادراك المحض والذاكرة المحضة ، وفي كتاب التطور المبدع بين العقل والغريزة ، كما ميز في كتاب منبعي الأخلاق والدين الأخلاق « المغلقة » من الاخلاق « المفتوحة » .

وفي المقدمة شرح صحيح لمذهب (برجسون) في الأخلاق حاول المترجمان أن يحتفظا فيه بعبق من نفحات برجسون وسحر أسلوبه وشذا صوفيته . إلا أنهما حاولا كغيرهما من المؤلفين ان يرتبا مبادئ برجسون ، ويبينا تسلسلها بعضها من بعض . فمما جاء في المقدمة قولهما : « ان الدين والأخلاق من التوق والاندفاع ، والتوق والاندفاع من الانفعال المبدع والعاطفة الحرى ، والانفعال والعاطفة من التوازن والحركة ، والحركة من الديمومة ، والديمومة من الوثبة الحيوية » (ص — ٨) . فكأن المترجمين يعتقدان ان الفكرة الأولى في فلسفة (برجسون) هي الوثبة الحيوية ، وان الديمومة مشتقة منها ، مع ان (برجسون) صرّح غير مرة بأن الديمومة هي الفكرة المركزية في فلسفته كلها . وما المادة والحياة والنفس إلا ظواهر مختلفة لجوهر واحد هو الديمومة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى ان الديمومة عنده هي الله .

ومهما يكن من أمر فان تعريب هذا الكتاب يدل على اتجاه جديد في الترجمة لم يكتف صاحباه بنقل كتاب سهل لا قيمة له ، بل استسهلا الصعب وعزما على ترجمة كتب برجسون كلها ككتاب الزمان والحرية ، وكتاب التطور المبدع ، وكتاب الضحك ، وكتاب المادة والذاكرة . فاذا تم لهما ذلك اضافا الى لغتنا العربية ثروة فكرية جديدة هي في أشد الحاجة اليها .

جميل صليبا

هنري برجسون : رسالة في معطيات الوجدان البديهية

ترجمة كمال يوسف الحاج • منشورات كنوز الفكر الغربي — بيروت ١٩٤٥

عدد صفحاته ١٣٨ من القطع الوسط

عنوان هذا الكتاب باللغة الفرنسية « Essai sur les données immédiates de la Conscience »، وكنا نود لو أطلق عليه باللغة العربية اسم **الزمان والحرية**. لأنه يبحث قبل كل شيء في مسألة الزمان ويبحث أيضاً في مسألة الجبر والحرية • حتى أن (هنري برجسون) لما سئل عن الاسم الذي يجب أن يطلق على كتابه في اللغات الأجنبية فضل هذا العنوان على غيره • وربما كان العنوان الفرنسي أدل على موضوع الكتاب من هذا العنوان الفلسفي المجرد ، لأنه يدل على ان حقائق الوجدان كالاحساس والعواطف والأهواء وغيرها يجب أن تعرى من جميع العادات المكتسبة والاعتقادات والأفكار والرموز • الا ان في ترجمة العنوان على النحو الذي اختاره المعرب شيئاً من اللبس والغموض • ونحن نفضل عنوان الزمان والحرية ، رغم صفته المجردة ، على هذا العنوان المفصل ، الذي لا تطابق كلماته كلمات العنوان الفرنسي •

أما ترجمة الكتاب فهي صحيحة بالجملة • الا انه ينقصها الضبط في بعض الاصطلاحات ، كما يعوزها الوضوح في بعض المعاني • أضف الى ذلك ان المترجم لم يوفق في ترجمته الى اعطاء الأسلوب البرجسوني حلة عربية قشيبة • بل أدّت محافظته على الأصل الى التمسك بالحروف ، فجاءت ترجمته مشوبة بكثير من الغموض •

قال هنري برجسون : « ان كل تلخيص لنظرياتي يفسدها في مجموعها » • ونحن نقول ان كل ترجمة لكتبه تفقدها روعتها • فقد امتاز (برجسون) بقوة أسلوبه ، وتبدو هذه القوة في تشابيهه الجميلة ، واستعاراته اللطيفة ، وقدرته على ايضاح المعاني العميقة بألفاظ واضحة وصور حسية • ومن السهل على الكاتب أن

ينحو في اللغة العربية نحو (برجسون) في اللغة الفرنسية ، إلا أنه من الصعب جداً على المترجم ان يجمع بين ضبط المعاني وروعة الأسلوب . لأن لكل لغة خصائص يصعب نقلها الى غيرها . فكما ان كثيراً من التراكيب الفرنسية تفقد قوتها وجمالها اذا عربت تعريباً حرفياً ، كذلك تفقد بعض التراكيب العربية بلاغتها وروعتها اذا نقلت الى اللغات الأجنبية . فلا بد اذن في الترجمة العلمية من الاقتصار على ضبط الاصطلاحات ووضوح المعاني . ولو لاءمت اصطلاحات المترجم معانيه وأغراضه ، وجاءت عباراته مطابقة للأصل لاكتفينا بذلك وضحينا بالأسلوب . ولكن بعض اصطلاحاته بعيدة عن الغرض الذي وضعت له ، كما ان بعض عباراته مشتملة على معان لا وجود لها في الأصل .

ومهما يكن من أمر فان هذه الترجمة لا تخلو من الفائدة لاشتمالها على مقدمة بين فيها المترجم منزلة (هنري برجسون) ومنزلة كتابه هذا . والترجمة جيدة الطبع صقيلة الورق ، متقنة الترتيب ، أثبت المترجم في آخرها بعض الاصطلاحات الفلسفية باللغتين العربية والفرنسية . ومن عانى قراءة كتب (برجسون) وما اشتملت عليه من المعاني العويصة ، ادرك ما لقيه المترجم من المشاق والمصاعب في شق هذا المسلك الوعر . ولو سلك المترجمون طريقته في اختيار الكتب ونقلها الى لغتنا لأنموا ثروتنا الأدبية ، ووسعوا أفق تفكيرنا ، وفتحوا لنا طريق الانتاج .

ج . ص

و . ج ماكبرايد : مركب النقص

ترجمه الأستاذ نوري الحافظ ، وقدم له الدكتور فاضل الجمالي

طبع بمطبعة المعارف في بغداد ، وهو من منشورات مجلة المعلم الجديد

عدد صفحاته ٦٣ من القطع الوسط

المركبات النفسية كثيرة : فمنها مركب (قابيل) وهو حالة نفسية تدفع الأخوة والأخوات الى التطاحن لامتلاك شيء من الأشياء . ومنها مركب

ينحو في اللغة العربية نحو (برجسون) في اللغة الفرنسية ، إلا أنه من الصعب جداً على المترجم ان يجمع بين ضبط المعاني وروعة الأسلوب . لأن لكل لغة خصائص يصعب نقلها الى غيرها . فكما ان كثيراً من التراكيب الفرنسية تفقد قوتها وجمالها اذا عربت تعريباً حرفياً ، كذلك تفقد بعض التراكيب العربية بلاغتها وروعتها اذا نقلت الى اللغات الأجنبية . فلا بد اذن في الترجمة العلمية من الاقتصار على ضبط الاصطلاحات ووضوح المعاني . ولو لاءمت اصطلاحات المترجم معانيه وأغراضه ، وجاءت عباراته مطابقة للأصل لاكتفينا بذلك وضحينا بالأسلوب . ولكن بعض اصطلاحاته بعيدة عن الغرض الذي وضعت له ، كما ان بعض عباراته مشتملة على معان لا وجود لها في الأصل .

ومهما يكن من أمر فان هذه الترجمة لا تخلو من الفائدة لاشتمالها على مقدمة بين فيها المترجم منزلة (هنري برجسون) ومنزلة كتابه هذا . والترجمة جيدة الطبع صقيلة الورق ، متقنة الترتيب ، أثبت المترجم في آخرها بعض الاصطلاحات الفلسفية باللغتين العربية والفرنسية . ومن عانى قراءة كتب (برجسون) وما اشتملت عليه من المعاني العويصة ، ادرك ما لقيه المترجم من المشاق والمصاعب في شق هذا المسلك الوعر . ولو سلك المترجمون طريقته في اختيار الكتب ونقلها الى لغتنا لأنموا ثروتنا الأدبية ، ووسعوا أفق تفكيرنا ، وفتحوا لنا طريق الانتاج .

ج . ص

و . ج ماكبرايد : مركب النقص

ترجمه الأستاذ نوري الحافظ ، وقدم له الدكتور فاضل الجمالي

طبع بمطبعة المعارف في بغداد ، وهو من منشورات مجلة المعلم الجديد

عدد صفحاته ٦٣ من القطع الوسط

المركبات النفسية كثيرة : فمنها مركب (قابيل) وهو حالة نفسية تدفع الأخوة والأخوات الى التطاحن لامتلاك شيء من الأشياء . ومنها مركب

(اوديب) وهو مجموعة من النزعات والعواطف تدفع الطفل مثلاً الى حب أمه وكره أبيه . ومنها مركب النقص ، وهو صفة الرجل الذي اصبح غير واثق من نفسه يكدح تحت عبء الشعور بالخوف والنقص .

وقد أطلق الدكتور (فرويد) هذا الاصطلاح على العواطف السلبية الناشئة عن الخوف من عجز الأعضاء التناسلية . وبين الدكتور (آدلر) ان مركب النقص قد يظهر في عدة حالات لا علاقة لها بالقضايا الجنسية ، كشعور الطفل مثلاً بنقص عضوي في تكوينه يلازمه كل ايام حياته . فالدافع الأساسي للسلوك عنده هو « تأكيد الذات » ، وكل احباط لهذا الدافع ناشئ عن نقص وراثي او كسبي يولد مركب النقص ، ويودي في النهاية الى الوقوع في المرض النفسي .

ولمركب النقص صفات رئيسية ترجع الى اختبارات نفسية مكبوتة كالخوف والابتعاد عن الواقع ، والاخفاق في الحب ، واللجوء الى الأوهام والأحلام . وله صفات ثانوية ، تنشأ عن سوء التربية كالقلق ، والتهيب الاجتماعي ، والعزلة وشدة الاحساس ، وسذاجة التفكير ، وعدم الاعتدال ، والميل الى التهكم والانتقاد . وتظهر هذه الصفات في الرجل الوضيع المتعاظم وفي المسرف في تأنقه ، وفي المرأة المتشبهة بالرجال ، وفي الرجل المتشبه بالنساء ، وفي الشخص الذي يظن أنه فريد عصره ، وفي الشخص المشاغب المتحير .

وعلاج مركب النقص الانتباه الى أسبابه ومحاولة التغلب عليها . فاذا كان ناشئاً عن الشعور بنقص عضوي كالافراط في السمنة أو النحافة أو البرص ، أو الأنف الأعقف ، او الاختلاف في لون العينين ، أو الأسنان البارزة ، أو العور ، أو العمى ، وجب قبول هذا النقص على علاته بشجاعة وتعقل ، إذ لا حيلة لأصحاب العاهات في تبديل حالتهم . وفي وسعهم ان يتغلبوا على نقصهم بالسعي والمشقة وقوة الارادة . ومن كان قميئاً ، باذ الهيئة دميماً ، وكان مع ذلك مثقفاً عالماً ، استطاع ان يبذ أقرانه ويفوقهم . والناس يفضلون الدميم العالم على الجميل الجاهل ، حتى ان التعجب من الدميم قد يكون سبباً للعجب به ، واذا كان

مركب النقص ناشئاً عن سوء التربية كالغنج والدلال أو القسوة والظلم أمكن التغلب على أسبابه بأضدادها ، فاذا كان الفتى مربى على الدلال عومل بشيء من القسوة ، واذا كان مربى على الظلم عومل بالرحمة ، ومهما يكن من أمر فان للمرء عدوين لدودين هما الأنانية والجهل ، فاذا استطاع ان يتحرر منهما عاش في أمن وسعادة .

فأنت ترى أن هذا الكتاب مشتمل على حقائق نفسية جليلة . وهو مترجم بأسلوب واضح ، الا انه لم يخل من بعض الهنات ، كقول المترجم (اغاضته) ص — ١٢ ، والصواب (اغاظته) ، وكقوله (أفضع) و (فضيعة) ص — ٣٧ ، والصواب أفظع ، وفظيعة . وقوله (أحدى المعامل) ص ٥٤ ، ٥٥ ، والصواب (احد المعامل) . وقوله (جابهها) ص ٨ ، والصواب واجهها . ومن الهنات التي يجب التنبيه اليها شرح المترجم كلمة (الأتوبيا) في النص بقوله : « كاتوبيا توماس مور، واتوبيا ملتن في الفردوس الأرضي ، ورسالة الغفران عند المعري ، والكوميديا الإلهية لدانتي اللجيري » (ص — ١٤) . فهذه الأمثلة لا تصلح كلها للدلالة على (الاوتوبيا) ، اذ أن رسالة الغفران ليست من الأوهام التي تخيلها ابو العلاء للارتقاء من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، بل هي مشتملة على نقد حقيقي . وكان احرى بالمترجم ان يورد هذا الشرح في الهامش ، وان يقتصر على أمثلة واضحة لا جدال فيها كجمهورية افلاطون ، والمدينة الفاضلة للفارابي ، واوتوبيا توماس مور ، ومدينة الشمس لكامبا نللا .

وليست هذه الهنات بقادحة في قيمة الكتاب ، بل الكتاب كما قلنا جليل المباحث ، جيد الترجمة ، تلذ مطالعته لكل طالب .

ج . ص

موجز الطب الجراحي

لمؤلفه الدكتور نظمي القباني أستاذ الجراحة في معهد الطب العربي بدمشق

كتاب فريد في بابه ليس له مثيل ، على ما نعلم ، في لغة الضاد . فان أسلافنا العظام الذين تركوا من المؤلفات في شتى الفروع الطبية ما يدل على طول باعهم لم يخطر لهم في بال طرق هذا الموضوع . ولا عجب فان الطب الجراحي فن حديث العهد لم توضع قواعده ولم تنظم سننه الا بعد ان وضعت قواعد الجراحة ذاتها ونظمت سننها وذللت العقبات التي تقوم في وجهها . واذا قيل ان هذا الفن يدرس على الجثث حيث لا يمنع الألم الجراح من اتقان عمله وحيث لا يخاف ان تفسد العفونة عليه طريقته أجبنا ان تشريح الجثث ، وهو الممر الذي يعبر به الجراح من الميت الى الحي ، كان محرماً في القرون الأولى فلا عجب اذا لم ترتقِ الجراحة في ذلك العهد ارتقاء الفروع الأخرى واذا لم تثب وثبتها الى الامام قبل حلّ هذه العقدة واباحة تشريح الجثة . وقد خطت الجراحة متبعة هذا الفن خطوات سريعة الى التقدم وسائرة معه جنباً الى جنب غير انها ارتطمت بعقبتين كؤودين هما الألم والعفونة فان الجراح لم يكن يتمكن من اتقان عمله على الأحياء للألم الذي كان ينتاب جريحه ولم يكن يقدم على الأعمال الجراحية الكبيرة وفتح الأجواف لأن العفونة كانت واقفة له بالمرصاد ولأنه كان يجهل قواعد التعقيم فكان التعفن يقضي على معظم جرحاه . فلا عجب بعد ما ذكرنا اذا لم يتعرض أطباء العرب للبحث في هذا الموضوع .

وبعد ان ذللت هذه العقبات جميعها في الغرب وسار هذا الفن هناك سيره السريع الى الأمام ودبت في البلاد العربية روح النهضة الحديثة لم نرَ من زملائنا العرب من أقدم على التأليف في هذا الموضوع لأن مؤلفات كهذه تتطلب نفقات كبيرة ولأن الاقبال عليها قليل . واذا دفعت اللذة العلمية بعضاً

من العلماء الى التضحية رغبة في التأليف نفسه فان هذه الرغبة لا تتعدى عادة حدود الخسارة المادية .

والنتيجة ان هذا المؤلف هو الأول الذي عرفناه في هذا الفن .

قسم المؤلف كتابه ثلاثة أبواب فخصص الباب الأول بربط الشرايين وقد جعله أربعة فصول فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة في ربط هذه الاوعية وفي الفصل الثاني ربط شرايين الطرفين السفليين وفي الثالث ربط شرايين الطرفين العلويين وفي الرابع ربط شرايين العنق .

وتكلم في الباب الثاني عن بتر الأطراف وتتميم المفاصل وقد قسمه أربعة فصول أيضاً فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة وفي الثاني بتر الأطراف العلويين والسفليين وفي الثالث تتميم مفاصل الطرفين العلويين وفي الرابع تتميم مفاصل الطرفين السفليين .

وقد خصص الباب الثالث بنشر العظام قاسماً اياه اربعة فصول فجاء في الفصل الأول بالمعلومات العامة وفي الفصل الثاني بنشر عظام الطرف العلوي وفي الثالث بنشر عظام الطرف السفلي وفي الرابع بنشر عظام الرأس والجذع .

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ ونهج المؤلف في وضعه نهجاً خاصاً فلم يعمد الى التطويل الممل ولا الى الاقتضاب المُضل واختار من الطرائف أسهلها تناولاً تاركاً ما كان منها معقداً . ويقع الكتاب في ٣٣١ صفحة وهو مزدان بمائتين واثنين وستين رسماً على الرغم من صغر حجمه .

فالى زميلنا الفاضل ، الذي نكبر همته ونشكر له باسم اللغة العربية اقدامه على سد هذه الثلمة في مجموعة المؤلفات الطبية ، أخلص تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر

فن التوليد

الجزء الأول

لمؤلفيه : الدكتور شوكة القنواتي استاذ فن التوليد وأمراض النساء ومريرباتها في معهد الطب العربي والدكتور محمود مظفر برمدا مساعد شعبة التوليد وأمراض النساء ومريرباتها في معهد الطب العربي .

كتاب يقع في ٥٤٤ صفحة طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ مزدان بـ ٨١ رسماً يبحث في الحمل والولادة وعواقب الوضع الطبيعية قسمه مؤلفاه ثلاثة أبواب فخصصا الباب الأول بالحمل الطبيعي وضمناه ثمانية فصول الفصل الأول في الالقاح والثاني في نمو البيضة وتكوّن المضغة والثالث في الجنين وملحقاته والرابع في القناة الحوضية التناسلية والخامس في التبدلات التشريحية والغريزية الطارئة على جسم الوالدة في أثناء الحمل والسادس في اعراض الحمل وتشخيصه والسابع في أوضاع الجنين والثامن في حفظ صحة الحمل .

وخصصا الباب الثاني بالولادة الطبيعية وضمناه أربعة فصول : الفصل الأول في الولادة اجمالاً والثاني في مختلف المجيئات والثالث في الخلاص والرابع في الحمل المتعدد والولادة فيه .

وخصصا الباب الثالث بعواقب الوضع الطبيعية وضمناه فصلين : الأول في حالة النفساء والثاني في الوليد .

ولغة الكتاب ومصطلحاته صحيحة وأبحاثه مفيدة وفيه من النظريات أجدّها ومن المعلومات الفنية أوفرها . ولا نغالي اذا قلنا انه يضاهي الكتب الأجنبية التي وقع عليها نظرنا من حيث غزارة المادة وحسن التبويب . وانه أفضل مؤلف عربي في نوعه لأن ما كتب في هذا الموضوع بلغة الضاد قديم العهد ولا يوافق النظريات الحديثة ولا سيما ما كان منها ذا علاقة بالغدد الصم ووسائل تشخيص الحمل الحديثة .

جزى الله المؤلفين لقاء خدمتها للغة الضاد خير الجزاء ووفقهما الى اصدار الجزء الثاني لتكتمل هذه الحلقة ويعم نفعها .

الدكتور م . خ

دمشق القديمة : أسوارها ، أبراجها ، أبوابها

هذه النشرة هي أولى مطبوعات مديرية الآثار القديمة السورية . وهي من وضع السيد صلاح الدين المنجد في عام ١٩٤٥ . رتقع في نحو (٦٠) صفحة . يتخللها صور ومصورات لبعض هذه الآثار . وقد ضمنها وصفاً موجزاً لسور دمشق وأبوابها مع نبذ من تاريخها . وقد رأت مديرية الآثار القديمة كما ذكر واضعها في مقدمته : « أن تصدر نشرات عربية مبسطة تضمن للناس ثقافة تاريخية آثارية . يتبينون فيها روائع ميراثهم القومي التاريخي الماثل في آثار هذا الوطن » . فنعم الفكرة هذه . وما أجزل فوائدها للناس . يتعرف بها أبناء البلاد الى تراث السلف وترشدهم الى محاسنه ، ليألفوه . وتحببه لهم ، ليقدروه حق قدره . فيعملوا على حفظه وصيانته .

حبذا لو ان الكاتب وضع الى جانب الاصطلاحات الفنية التي استعملها ما يقابلها في لغة أجنبية ما ، كي لا يلتبس على القارئ فهم مدلولها في مثل قوله : « برج مربع بشكل موشور ، وقوس مخمسة » . وذكر عن باب الجنيق المسدود أنه روماني مع انه لا يوجد ما يستدل منه على قدمه في حالته الحاضرة ويرجح أن يكون من العهد الاسلامي . وقال ان باب توما منسوب الى عظيم من عظماء الروم . والأصح بأنه منسوب الى مكان في ظاهر دمشق كان يعرف بهذا الاسم . وقال في صفحة ٤٥ : سيف الدين ابي بكر بن أيوب أمير المؤمنين . وصوابه أن يقال : .... بن أيوب ناصر أمير المؤمنين . وجاء في رقم (٢) من صفحة الاضافات والتصحيح : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبيه مدينتين ودفع ذلك كله غربي المدينة » . وهذه العبارة مشوشة في مبناها ومعناها . ولذلك أقترح تصحيحها على الوجه الآتي : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبيه مأذنتين ووقع ذلك كله غربي المدينة » . اذ لا يعقل ان يحمل السيل برجاً ومدينتين الى غربي المدينة . مع أن السيل لا يأتي دمشق الا من ناحية الغرب متوجها الى الشرق . وقال في رقم (١٨) باب النصر ويسمى باب السرايا . مع ان الباب الأول كان في سوق الأروام والثاني هو باب السرايا المشيرية .

وجاء في مصور مدينة دمشق القديمة ، ان اسم النهر الموجود شمالي قلعة دمشق نهر بانياس ، وصوابه نهر عقربا .

فنرجو للأستاذ المنجد الذي عرفناه أديباً أن يوفق في أبحاثه الأثرية كنجاحه في مواضيعه الأدبية وان تكون هذه النشرة المفيدة باكورة أبحاث أوسع .

جعفر الحسني

بيمارستان نور الدين

وهي أولى الدراسات التي وعد السيد صلاح الدين المنجد بنشرها عن أبنية دمشق التاريخية . وتقع هذه النشرة في ٣٩ صفحة من القطع الكبير مزينة بعدد من الصور والرسوم المفيدة . وقد وفق الأستاذ فيما أورد وأصاب فيما نقل . متقياً ما أمكن مواطن الزلل ومتحاشياً كل ما يثير الجدل . وهذا شأن قواعد الدراسات المبسطة التي يحسن أن يقتصر بحثها على الخطوط الأساسية المتفق عليها . وأما قوله : ان بعض مواد البناء الرخامية المستعملة في بناء البيمارستان كالعمودين والألواح المزخرفة قد أخذت من احدى الكنائس . فهذا زعم يفتقر لإثبات ولا يقوم عليه دليل . وهي من جملة أوهام بعض المستشرقين . ولذلك يجب علينا أن لا نتسرع في نقلها ولا نجزم في صحتها . نشكر الأستاذ المنجد على هذه الدراسة المفيدة ونرجو له التوفيق في دراساته المقبلة .

ج . ح

سومر

صدر الجزء الأول من المجلد الثاني من مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق . وهو طافح بالأبحاث التاريخية عن العراق وانبائه الأثرية في مختلف العصور ومزين بأحسن الصور . وتشهد جميع هذه الأبحاث على علو مكانة كاتبيها العلمية وحرصهم على تحري الحقيقة فضلاً عن توفقهم بانتقاء الأبحاث . وجاء في جملة أنباء الآثار ص ١٣٣ . ان المتحف العراقي قد اقتنى درهماً نقش عليه صورة الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر . وانه قد يكون الوحيد من نوعه في العالم . وقد سبق لدار الآثار في دمشق ان اقتنت منذ سنوات درهماً يشبهه وقد نشره في حينه كاتب هذه الأسطر في كتاب : Melanges Syriens offerts à M. R. Dussaud ص ٤١٨

ج . ح

آراء وأنباء

الحكومة المصرية تتبرع بألفي جنيه
لمكتبة أبي العلاء المعري

كان الدكتور طه حسين بك قال في كلمته التي ألقاها في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري الذي أقامه المجمع العلمي العربي في دمشق في ٢٥ إيلول سنة ١٩٤٤ : « ... ثم رأت مصر أن تكون مشاركتها في إحياء ذكرى أبي العلاء متصلة بشخصه وبلده ، وقد علمت أن سورية قد جددت قبر الشيخ وأقامت الى جانبه مكتبة ، فقررت أن تشارك في هذه المكتبة ، وكلفني وزير المعارف أن أعلن ان الحكومة المصرية تتبرع بألفين من الجنيهات تشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج اليه هذه المكتبة من الكتب [1] » .

وقد استلم المجمع من المفوضية المصرية بدمشق حوالة بألفي جنيه مصري ، وقرر أن يؤسس بها خزانة كتب بجانب ضريح أبي العلاء يدعوها « دار الحكمة العلائية » يجمع بها آثار أبي العلاء مخطوطها ومطبوعها وما كتب عليه قديماً وحديثاً ، يضاف اليها أمهات الكتب في الأدب واللغة والتاريخ وبقية فروع الثقافة الاسلامية . فالمجمع يشكر للحكومة المصرية الجليلة هذه اليد البيضاء على العلم والأدب ، ويحيي مصر ويرجو لها السعادة واطراد التقدم والرقي في ظل مليكها الفاروق حفظه الله .

(١) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ص ٢١

الاستعمال محكَّم [1]

لو حلفنا للعامة بكل محرجة من الأيمان أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وشاحنة وسفينة أرق وألطف وأدخل في موازين اللغة من أوتومبيل وبيسكليت ولوكوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدقوا . ولو قلنا لهم ان لفظ بريد وبرق وهاتف أرشق من بوسطة وتلغراف وتلفون وجسر خير من كوبري ومستشفى من اسبتالية ومعمل ألطف من فابريقة أو فابريكة والثوي أحسن من السلاملك والمثوى أنفع من بانسيون والحساء من شوربة والشطيرة من سندويتش والذرور من بودرة والجعة من بيرا وعقود من كنتراتات ويانصيب من لوتريا ووقاد أحسن من عطشجي ومصرف من بنك ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلمان وانتكخانة وكتبخانة ما سمعوا ولا ارعووا .

وحيثما انقلبتم في مصر وانصتم الى المتكلمين في مدنها وأريافها يترامى الى اسماعكم نموذجات غير جميلة من الأسماء التركية حتى لنسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة أبلة ، أنشتة ، دادة ، نينة ، تيزة ، نا ، بابا ، فرشة ، طقم ، طربة ، بقجة ، شنطة ، شلتة ، يشمق ، طلمبة ، سادة ، بويا ، يغما ، ماشة ، قولتق ، كليم ، تخنة ، خوجه ، جزمه ، شادر ، شاكوش ، أرمان ، بشاورة ، بشكير ، خردة الى عشرات غيرها . وفي الشارع تسمع كلمات طليانية ورومية وافرنسية وتركية ، فتراهم يقولون في المطاعم مستاردا ، كومبوستو ، روستو ، فينو ، فيلتو ، كوتليت ، اومليت ، سباكيتي ، ترشي ، بلاو ، ضولمة ، يخني ، كفته ، اوزي ، صلاطة ، صلصة ، جاتو ، فروتو . وعشرات مثلها مما له مقابل في لغتنا وهو أسهل وأسلس على النطق من اللفظ الأعجمي .

تسمع من أفواه المتمدنين والمتمدنات في الصباح والمساء كلمة فاتورة ، مانيفاتورة ،

---

[1] هذا بيان تلاه الأستاذ محمد كردعلي في الجلسة الخامسة من الدورة الثانية عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة (٢٧ صفر ١٣٦٥ و ٣١ من كانون الثاني ١٩٦٦) .

فورمه ، مزورا ، موضة ، بروتستو ، كمبيو ، اسقنطو ، كارو ، مناورة ، بلاج ، كابين ، كابينه ، كاباريه ، بوفيه ، اوبرج ، كورنيش ، فرنيش ، مايو ، كاسون ، كومبينزون ، شورت ، سبور ، لوكاندة ، اوتيل ، اوسته ، فانتيزي ، ياقة ، باترون ، مارمتون ، جارسون ، ميتردوفيل ، روب ، روب دي شمبر ، بيجاما ، جاكيته ، بالطو ، بنطلون ، ساتين ، موسلين ، اشارب ، ماتينيه ، سواريه ، كريم ، بودرا ، روج ، ما نو كور ، تواليت ، فيترين ، بانيو ، صالة ، صالون . ولهذه الألفاظ كلها ما يقابلها من العربية وقد يعرفها العامة دع الخاصة ، ولا تحدثهم أنفسهم باستعمالها نكاية بهذه اللغة وكيداً لأهلها أو حتى يقال عنهم على الأقل أنهم متمدنون والألفاظ الافرنجية أقرب الى أذواقهم من الألفاظ العربية وما شاء الله كان .

وليت شعري متى يبطل في مصر ما تأصل فيها من الألفاظ التركية في الجيش والحياة العامة ورسخت في الألسن والأقلام وليس هناك من ينكرها مثل صول ، قول ، صاغ ، بيكباشي ، يوزباشي ، باشكاتب ، باشمهندس ، سواري ، بيادة ، طوبجية . الى كثير غيرها ، وقد قيل أن ألفاظ الجيش وحدها تبلغ ألفي كلمة . وكان مجمعنا عهد الى رصيفنا العلامة الشيخ أحمد الاسكندري رحمه الله النظر مع خبير عسكري في وضع أسماء عربية تقابل تلك الأسماء التركية فوضعا ما وضعا له من الألفاظ ولما هلكا لم نعد نسمع خبراً عما تعبا في وضعه من المفردات ، ولا تزال مصر الى الآن مقصرة عن العراق والشام في تعريب ألفاظ الجيش وكان المأمول أن تتوحد هذه المصطلحات في هذه الأقطار الثلاثة .

مساكين علماء اللغة يكدون أذهانهم ويتعبون عيونهم في البحث لإيجاد كلمات لا يقبلها الجمهور الا اذا وافقت هواه واستسهل النطق به وعرضت له عوارض تذكر به في كل شارقة وبارقة . والعامة على ما يظهر تختار من الألفاظ ما يطرق سمعها باديء الرأي وتحفظه لا تحفظ غيره وصعب اكراهها على استعمال الفاظ بعينها اذا رأت في مألوفها ما يجزيء عنه ويعبر عن حاجات النفس . وثقوا أن كلمتي جريدة ومجلة اللتين وضعهما العلامة احمد فارس أثابه الله لو لم يكن أرباب

الصحف أنفسهم هم الذين دللوا عليها لظللنا الى اليوم نطلق اسم بولتين أو رفو أو مكازين على المجلة وجورنال أو غازيته على صحيفة أو جريدة ، ومع هذا لانزال نسمع كثيراً من خاصتنا الى اليوم يقولون الجورنال ومن العامة من يقول جورنان بالنون .

وضع هذا المجمع ومجمع الشام ألفاظاً لمسميات افرنجية ولم تنتشر كلها الانتشار المطلوب لقلة العناية بطرق نشرها ولا أكتمكم اني يائس من شيوع بعض ما وضعناه لناطحات السحاب مذ قلنا « الصرح » ومذ أطلقنا « الطزر » على البيت الصيفي و « المثعب » على سيفون و « الاردبة » على البالوعة الواسعة و « المشن » على الدوش و « الوشيعة » على حظيرة الشجر حول الكرم والبستان و « الوفيعة » على تلك الخرقة التي يمسح بها الكاتب قلمه من المداد و « الدريئة » على بارفان و « المشوش » على السرفيت و « الندل » على خدم القهوة أو الكارسونات و « الابريج » على الممخضة و « العتابيات » على المكشطة .

وليت شعري كم يمضي من الزمن حتى تنتشر كلمة « المجسدة » التي وضعناها لنوت على نحو ما انتشرت الجزازة والاضبارة للاعراب عن فيش ودوسيه . ومثل ذلك قولوا في « الاراض » التي وضعت للبساط العظيم الذي يفرش في الأبهاء والردهات و « التحذيف » لتصفيف شعر المرأة وقص أطرافه و « المنوار » « لفربير » أي المصباح الكبير الذي يعلق في الشوارع والحدائق العامة و « المرصدة » التي وضعت لتلسكوب و « المصوات » لميكروفون و « الأجمية وحمى الأجمية » للملاريا .

ومهما يكن فلا ينبغي لنا أن نيأس من نشر ما يعنينا من الألفاظ فقد حاولت أن أنشر بعض الفصيح المنسي منذ بدأت أكتب في الصحف فكنت أستعمل لفظة أو لفظتين في المقالة الواحدة أو الفصل الواحد فأصبح ما استعملته مألوفاً بعض الشيء في البيئة التي عملت فيها وحصلت بها أنسة للقراء فلم تنفر منها الأسماع . فلو كانت وسائط النشر أوسع لدي لصادفت تلك الألفاظ من الرواج بالضرورة أكثر مما صادفت ، وبخاصة اذا تبناها بعض رجال الصحافة فان منهم من عاونوا

على اشاعة بعض الألفاظ حتى كدنا نعافها لكثرة ما رددوها في كل موطن مثل لفظ « أجل » و « فحسب » و « الهيل والهيلمان » .

نعم يجب أن يكون أحدنا كالطبيب المداوي لا ينقطع عن معالجة مريضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في الألف ، قص علي أحد زملائي في المجمع العلمي العربي أنه كان في بعض العشايا ماراً في زقاق وكانت تلك الليلة من ليالي المرافع « الكارنافال » فسمع ولدين في نحو العاشرة من عمرهما يسأل أحدهما صاحبه أين كنت الآن قال كنت في المقنع Balmasqué فدهش صاحبي من سريان هذه اللفظة الفصيحة الى لسان الفتيين .

ومن الحزم أن يعول على الفتيان والفتيات في تقبل الفصيح يلقنهم إياه أساتذتهم منذ عهد الكتاتيب إلى آخر مراحل التعليم في الجامعات حتى اذا تمكنت من ألسنتهم انتشرت بحكم الطبيعة في العامة ومن قرب من طبقتهم وعندئذ يتعذر على العامية أن تقتل الفصحى .

ولا بد أن يأتي يوم يكثر فيه استعمال ما نضعه أو يضعه غيرنا من الفصيح ويقضى على الأسماء الأعجمية ويجب على كل حال أن نذكر الخطوات الناجحة التي خطوناها منذ خمسين سنة لاحلال الفصحى محل العامية المتلونة كل عهد بلون .

لا جرم أننا مقصرون في الدعاية لما نضع من الألفاظ ومن هذا التقاعس ما يمكن تلافيه ومنه ما دعت اليه أسباب قاهرة . فقد حالت الحرب دون نشر مجلتنا وهي أداتنا الوحيدة في الاعلان عن بضاعتنا فما طبقت قاعدتنا في نشر الألفاظ التي نحاول احياءها أو اشتقاقها من أصولها . وقاعدتنا هذه الا تصبح اللفظة الجديدة معمولاً بها الا أذا أتى على نشرها في المجلة حول كامل ولم يرد اعتراض عليها . ولذلك يكون يوم عودة مجلة المجمع الى الصدور من الأعياد السعيدة وعساه يطرد ارسالها هذه المرة الى القاصية والدانية تتناولها أيدي عشاق العربية في الآفاق . فنحن في حاجة لدعاية واسعة النطاق لما نحييه من المفردات ونقرره من القواعد لتسهيل اللغة . نحتاج الى نشر ما نضع في الصحف

والمجلات وفي نشرات ورسائل ترسل لمن ينتفع بها بالمجان في أوقات معينة لا تخل بها واذا استطعنا أن نقنع الحكومات بمعاونتنا في هذا الشأن يزيد ما نريد نشره في الناس انتشاراً كثيراً فبقليل من العناية يمكن الاستغناء عن مئات من الاسماء الأعجمية وذلك بأن تصح عزيمة الحكومات على حمل الفنادق والمقاهي والحانات مثلاً على استعمال ألفاظ عربية فتحظر على أربابها استعمال الالفاظ الافرنجية بتاتاً وما أظن ما نسمعه كل يوم في المقاهي مثل «اوناسكيتو» و «اونافاربليكي» و «اونامتربو» الى غير ذلك من الأسماء يرضى الناطقون به أن ينادي مناد بالعربية في مقاهي بلادهم وحاناتها وفنادقها هذا ونحن نرى القهاوي البلدية تنادي على هذه المشروبات بألفاظ عربية منتقاة جميلة تسمع نموذجات منها في مقاهي سيدنا الحسين وغيرها من مقاصف الأحياء .

ولو أن حكومة مصر عاونت هذا المجمع على بث الصحيح لما انقضت سنة الا وأكثر الألفاظ الأعجمية تخلي من الميدان ويطويها النسيان فلا يعثر عليها إلا في معاجم لغاتها وتحل محلها الألفاظ العربية في قطر هو عربي خالص منذ ثلاثة عشر قرناً .

أما أن نترك ما تعبنا في وضعه للطبيعة تنشره أو تغمره فنطبع من مجلتنا بضعة ألوف ونوزع منها مئات ونخزن الباقي في المستودعات يأكلها الفأر ويسودها الغبار فهذا تقصير أخشى أن يكون داخلاً في نقص القادرين على التمام .

أما ولم يبق أمامنا الآن عائق يعوقنا عن إتمام عملنا فواجبنا أن ننشط وندخل بعض التعديل في أساليبنا والزمن يدعونا الى ذلك فقد كان ابن القرن الماضي يكتفي بحفظ ألفين أو ثلاثة آلاف كلمة يقلبها في وجوه استعمالاته وابن هذا العصر يحتاج الى استظهار ألوف من الألفاظ ما كانت تخطر ببال أبناء الأجيال السالفة فالمصلحة اذاً في نشر أكبر عدد ممكن من ألفاظنا المعربة والموضوعة واخراجها في معجم صغير يكبر مع الزمن ثم يجعل منه ما بقي بحاجة المبتدئ والمتوسط والمنتهي .

يشتد عوز الأمة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبرئ نفسي من تهمة أدبية همس بعضهم بها وهي أني كنت في جملة الرافضين نشر معجم رصيفنا العلامة شيفر أنا لم أرتكب هذا الجرم وانما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو « اللوكس » ونحن نتطال أولاً الى البسيط العادي واني أفضل تقديم الأهم على المهم والأهم نشر معجم المجمع الذي طال الوعد باصداره واني لا قصد لي الا قصدكم وما حدت ولن أحيد عن خطتكم والمصلحة في الاسراع بعرض أعمالنا على العالم والزمن لا يحتمل التسويف اوعصرنا عصر السرعة والمفاجآت . وعملنا لا يكلله النجاح الا بالدعاية بكل أساليبها على ما تجري عليه كل دعاية سياسية ودينية والله الهادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

محمد كرد علي

الفريونة

١ — توطئة

هذه كلمة غريبة الصيغة ، حلوة على السمع . وتلفظ Freywinneh أي بضم الفاء (والعامة تسكنها) وفتح الراء فتحاً بإمالة قصيرة ، واسكان الياء المثناة التحتية ، وكسر الواو ، وتشديد النون المفتوحة ، وفي الآخر هاء ، غير صميم .

هي اسم نباتٍ مبثوث في أراضي الموصل ، والهضاب التي حواليها ، ولم يتمكن احد من معرفته بالتمام والضبط ، إلا واحد من علمائنا الأعلام ، هو الطبيب النطاسي ، الدكتور داود الچلبي ، الموصلي الولادة والنشأة .

٢ — أصل هذه الكلمة

سألت كثيرين عن أصل هذه الكلمة ، ومن أي لغة وردت علينا ، فلم يتمكن احد من معرفتها . وسألت جماعة من الفضلاء والبصراء باللغات السامية واليافثية والحامية ، فلم يستطع أحد ان يجيبني عنها الا الدكتور الچلبي وحده — فله الفضل العظيم على كل من يتلقاها عنه ، في هذا المقال . قال حرسه الله ما هذا نصه بحروفه ، وذلك بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٤٥ :

يشتد عوز الأمة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبرئ نفسي من تهمة أدبية همس بعضهم بها وهي أني كنت في جملة الرافضين نشر معجم رصيفنا العلامة شيفر أنا لم أرتكب هذا الجرم وانما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو «اللاوكس» ونحن نتطال أولاً الى البسيط العادي واني أفضل تقديم الأهم على المهم والأهم نشر معجم المجمع الذي طال الوعد باصداره واني لا قصد لي الا قصدكم وما حدت ولن أحيد عن خطتكم والمصلحة في الاسراع بعرض أعمالنا على العالم والزمن لا يحتمل التسويف اوعصرنا عصر السرعة والمفاجآت . وعملنا لا يكلله النجاح الا بالدعاية بكل أساليبها على ما تجري عليه كل دعاية سياسية ودينية والله الهادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

محمد كرد علي

الفريونة

١ — توطئة

هذه كلمة غريبة الصيغة ، حلوة على السمع . وتلفظ Freywinneh أي بضم الفاء (والعامة تسكنها) وفتح الراء فتحاً بإمالة قصيرة ، واسكان الياء المثناة التحتية ، وكسر الواو ، وتشديد النون المفتوحة ، وفي الآخر هاء ، غير صميم .

هي اسم نبات مبثوث في أراضي الموصل ، والهضاب التي حواليها ، ولم يتمكن احد من معرفته بالتمام والضبط ، إلا واحد من علمائنا الأعلام ، هو الطبيب النطاسي ، الدكتور داود الچلبي ، الموصلي الولادة والنشأة .

٢ — أصل هذه الكلمة

سألت كثيرين عن أصل هذه الكلمة ، ومن أي لغة وردت علينا ، فلم يتمكن احد من معرفتها . وسألت جماعة من الفضلاء والبصراء باللغات السامية واليافثية والحامية ، فلم يستطع أحد ان يجيبني عنها الا الدكتور الچلبي وحده — فله الفضل العظيم على كل من يتلقاها عنه ، في هذا المقال . قال حرسه الله ما هذا نصه بحروفه ، وذلك بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٤٥ :

(الفربونة) : نبات ذو بصلة ، يزهر زهراً احمر وردياً جميلاً ، بصلته ذات طاقات حلوة ، تؤكل . خارجها قشر احمر ، كقشر البصل العادي ، يليه طبقة من ألياف دقيقة ، ناعمة ، حريرية ، كأنها شعر فَرْوة ، ومن هناك اسمها عند أهل الموصل .

« صغروا (فروة) ، فقالوا (فُرَيْوة [1]) وكسعوها بألف ونون للنسب ، بدل الياء بعد حرف الهاء ، فصارت : (فُرَيْوان) وهذه النسبة مستعملة بكثرة عند الأعراب [2] فيقولون لمن وُلد في ارض يكثر فيها الشيح : (شيحان) . واعرف اعرابياً اسمه (نديان) ، سألته لماذا سموك بهذا الاسم ؟ — فقال : لأن صبيحة الليلة التي ولدت فيها اصبحت الأرض قد عمها (الندى) ؛ ثم ألحقوا بفربوان ، تاء [3] التأنيث ، فصارت (فربوانة) ولكنهم يحرفونها فيلفظونها : (فربونة) [بتشديد النون في مكان حذف الألف] [4] » .

ثم قال حضرة الدكتور : « لا شك في كون هذا النبات من الفصيلة الزنبقية Liliacées ؛ لكني لم أهتد لاسمه العلمي ، لأني لم اجد في الكتب التي لديّ ، من وصفها وصفاً واضحاً ، وذكر فروتها ، وانها تؤكل .

« ظننتُ أولاً ان Muscari comosum ينطبق عليها ؛ غير اني وجدت اني كتبت في بعض قيوداتي : ان هذا بصل القيء فعدلت عنه .

(١) قال الأب أنستاس ماري الكرملي : صحّحوا الواو ، وان جاء قبلها ياء ساكنة ، حرصاً على سلامة اللفظ الأصلي كما صححوها في تصغير أسود . فقالوا : أُسيود . وفي تصغير حُلوة ، قالوا : حُليوة . (٢) مثل هذه النسبة الغريبة معروفة عند الأقدمين ، ولم يذكرها النحاة ، ولا أرباب القواعد العربية . فقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة عبادان : « وأما إلحاق الألف والنون ، فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها : إنهم اذا سموا موضعاً ، أو نسبوه الى رجل ، أو صنعة ، يزيدون في آخره ألفاً ونوناً ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد اللبان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان » انتهى كلام ياقوت . (٣) انما أنثوها اشارة الى الزهرة كأنهم قالوا : الزهرة أو النبتة ذات الفروة ، لأن هذه الفروة لاتظهر إلا من بعد أن تزهر البصلة .

(٤) ومثل هذا الحذف والتعويض عنه بشد الحرف الذي يتلوه ، قولهم في انجاص : إجّاص . وفي انجار : إجّار ، وفي خرنوب : خرّوب ، وفي ذرنوح : ذرّوح ، وفي انجانة : إجّانة ، إلى ما لا يحصى ذكره لكثرة وروده في لسانهم .

« واكثر ظني ان (الفربونة) هي التي وردت في قاموس شرف باسم (قُطّـان) لكن لا أجزم به، لأن الدكتور شرف، لم يتعرض لوصفه ؛ وكذلك احمد عيسى في معجمه . ولم اجد هذا الاسم في سائر الكتب » انتهى كلام صديقنا الدكتور العلامة .

قال الأب أنستاس ماري الكرملي : ان رأي الدكتور الچلبي الأول أي ان الفربونة هي Muscari comosum هو الصواب، وأما قوله انه بصل القيء فمبني على معجم احمد عيسى، فانه ذكر (للمسكاري كوموزوم) عدة مترادفات هي : « بصل الزيز » [أي بزابين] – حلحل ج : حلاحل، بصل القيء – بصل بري – بصل المسك – بصيل – الزيز [بزابين] (عربية) – زوزا (سريانية) – مدّاد أفرع – ثومة الرعيان – بصل فرق – بصيلة (سوريا) انتهى .

وفي هذا كله من الخلط والخبط، ما لا يحتاج الى تفنيد، لظهوره لكل ذي عينين . اما ان (مسكاري كوموزم) وهو Muscari comosum هي الفربونة نفسها [١] فلا ينكر البتة ؛ لأن الكلمة العلمية اللاتينية تعني الحلحل الأشعر او الشعر (ككتف)، لا الحلحل الأزَبّ (بتشديد الباء) كما قال الأمير مصطفى الشهابي [٢]، لأن الأزبّ معناه الكثير شعر الوجه أما Comosum فمعناه الشعر او الأشعر، اي الكثير الشعر، ومعناه أيضاً المجمّم اي ذو الجمة وهي مجتمع شعر الرأس . وقد ذكر الدكتور الچلبي ان (الفربونة) معناها ذات الفروة، والمراد بالفروة هنا جلدة الرأس بشعرها، لأن على رأس زهرتها ما يشبه الشعر او الفروة المذكورة .

---

(١) جاءت صورة الفربونة، أي الحلحل الأشعر في معجم لاروس الوسيط بحيث لا يشك الناظر اليها شكاً دقيقة واحدة . والذي رآها مزهرة في نواحي الموصل، قال : كأن المؤلف نقلها عما شاهده في ديارنا العراقية . فهي تُرى بكثرة في فصل الربيع .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية – تأليف الأمير مصطفى الشهابي . مطبعة الجمهورية السورية سنة ١٩٤٣ . صفحة ٤٣٥ سطر ٨

وزد على ذلك انهـا تؤكل ، ومما يثبت هذه الحقيقة ، كلام معجم لاروس الوسيط ، الفرنسيّ العبارة ، إذ قال ما ننقله الى لغتنا .

« الفريونة وبلغة العلم Muscari comosum وبالفرنسية Muscari chevelu وهو ايضاً الحلحل الأشعر او الشعر (كـكـثيف) ، هو ما يسميه عوام فرنسة Viciet وما معناه الثوم المجمَّم ، ثم الحلحل الممسَّك M. Racemosum معروفان في فرنسة ويرغب الناس في ان يكونا في جنائنهم للزينة ، ولا سيما ان بعض ضروبها تجهض فيها الأسديّة في جميع ازهار النبت الواحد ، فتجيء عناقيدها شعرة جميلة جداً . وبصل هذه الا نبتة تؤكل لأنها نافعة لدفع التشنج » انتهى تعريباً

٣ً — الخلاصة

حلَّ لنا الدكتور داود الچلبي اعظم مشكل من مشاكل نبات العراق . فقد حاول كثيرون معرفة ما يقابل عند الافرنج لكلمة (الفريونة) المشهورة على لسان كل صبيّ موصلي ، فلم يهتدوا اليها واما الدكتور الچلبي فقد أفادنا بأنها المسماة بلسان العلماء Muscari comosum وباللغة الفرنسية Muscari chevelu فنشكره على ما عاناه من النصب ، اذ قضى ثلاثة ايام بلياليها — على ما كتبه الينا حضرته — وهذا ما يعترف بفضله كل اديب ، عربياً كان أو غربياً .

الأب أنستاس ماري الكرملي

تعقيب

أطلقت في معجم الألفاظ الزراعية على جنس النبات المسمى Muscari كلمتي حَلْحَل وبصل الزيز . وذكرت في الشرح ان هاتين الكلمتين وردتا في مفردات ابن البيطار ، واني لم اجدهما في الأُمهات من كتب اللغة . ووضعت أمام النوع المسمى بالفرنسية M. chevelu وبلسان العلم M. comosum كلمة حلحل أَزَبّ ، أي انني ترجمت Chevelu بأزب ، فاذا بالأب انستاس ماري الكرملي ينكر

عليّ هذه الترجمة في مقال له في هذا العدد من المجلة عنوانه « الفريونة »[١] مدعياً أن الأزب معناه الكثير شعر الوجه ، وان الترجمة الصحيحة هي الأشْعَر والشَّعِر .

قلت لقد وهم الأب المحترم في حصره معنى الأزب بالكثير شعر الوجه . ولو راجع المعاجم لوجد في التاج مثلاً ان الزَّبَب في الناس كثرة الشعر وطوله ، وفي الابل كثرة شعر الوجه والعثنون ، وان الزبب مصدر الأزب وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين ، وانه يقال امرأة زباء اي كثيرة شعر الحاجبين والذراعين واليدين ، وأذن زباء كثيرة الشعر ، ومن المجاز داهية زباء كما قالوا شعراء الخ ... ولو راجع الأساس لوجد ان الزبب تطلق على كثرة الشعر في الجسد ، وانه من المجاز قولهم « عام أزب أي خصيب » قلت ومن بدائه الأمور ان هذا الاستعمال مرده الى وفرة الكلأ في العام الخصيب .

ويتضح من ذلك ان الأزب تطلق على الكثير الشعر أياً كان ، وانها تستعمل مجازاً ، وان استعمالها ترجمة لكلمة Chevelu أمر لا غبار عليه ، وانه لا يجوز قصر معاني الألفاظ على الأمثلة التي ترد في المعاجم ، وذكر هذه الأمثلة فيها لا يفيد الحصر وهو شيء معروف . ولهذا استعملت في معجمي الأزب والأشعر والشَّعِر والوَبر للانسان والحيوان والنبات على السواء

مصطفى الشهابي

ملاحظات لغوية

نشر الأب أنستاس ماري الكرملي في الجزء الحادي عشر من المجلد العشرين من هذه المجلة مقالاً بعنوان « الكلم العربية في اللغى الغربية » ردَّ فيه بعض الكلمات الفرنسية الى أصول عربية .

وقد راجعت عدداً من المعاجم الباحثة عن أصول الكلم الفرنسية ، ومنها معجم أسكار بلوخ Oscar Bloch المطبوع سنة ١٩٣٢ في باريس[٢]

(١) الفريونة كلمة عامية تطلق في بعض أنحاء العراق على أحد النباتات .

(٢) اسمه Dictionnaire étymologique de la langue française وهو في مجلدين لا يشتملان الا على أصول الكلم وتواريخها . والذي يدقق في الفاظ هذا المعجم وينعم النظر في المراجع القديمة والحديثة التي نقل المؤلف عنها يجزم أنه ثقة في أبحاثه .

فألفيتها تذكر ان بعض الكلمات التي حاول الأب المحترم ردّها الى أصول عربية هي من أصول أخرى . وهاكم بعض هذه الكلمات :

Acheter — لم يرد في أي معجم من المعاجم القديمة او الحديثة ان هذا المصدر الفرنسي يمت الى «اشترى» العربية بصلة ، خلافاً لما ذهب اليه الأب المحترم ، بل رجحوا انه من أصل لاتيني ، وفي معجم بلوخ الذي أشرت اليه نحو نصف صفحة عن أصل هذا اللفظ وعن تحويره بالاستعمال على كر السنين . وليس من المعقول ان يحتاج الفرنسيون الى استعارة مثل هذا اللفظ من العرب وان يستعملوه مئات من السنين دون ان يذكر أحد من علماء اللغة عندهم شيئاً عن صلته بالكلمة العربية .

Agréer — ليست هذه اللفظة من أغرى يغري ، خلافاً لرأي الأب أنستاس ، بل هي وأشباهها مشتقة من gré وهذه من اللاتينية Grâtum وهذه الأخيرة من النعت Grâtus بمعنى Agréable وكل ذلك منذ القرون الوسطى .

Agrafe — ليست من العقرب العربية بل من فعل قديم هو Grafer ومعناه تثبيت الشيء بعقافة وهذا الفعل من Grafe بمعنى العقافة . والاسم الأعجمي الأخير من أصل ألماني قديم هو Grâpfo على ما رجحوه .

Aine — من اللاتينية العامية Inguinem لا من العانة العربية وهي باللاتينية Inguen ولها اسماء مشابهة لهذا الاسم في الايطالية والاسبانية والبروفنسية القديمة .

Aigle — من البروفنسية القديمة Aigla أو من اللاتينية Aquila . ولا دليل على انها من العاقلة العربية .

Alezan — تطلق هذه الكلمة الفرنسية على الفرس الأشقر ، لا على الكميت ، خلافاً لما ذهب اليه الأب انستاس . والكميت بالفرنسية Bai (أنظر الفرق بين الأشقر والكميت في مادة Robes من معجم الألفاظ الزراعية) .

وكلمة Alezan مستعارة من الإسبانية Alazan وهذه من أصل مجهول . ولم يقم دليل علمي على كونها من الحصان العربية . ولكن ردّها الى الحصان محتمل لاختلاط الاسبانيين بالعرب قروناً في الأندلس .

م . ش

زوج Sexe

يترجم أغلب المؤلفين العرب كلمة sexe بجنس ، حال كون الجنس يقابل genre المأخوذة من genos اليونانية ، وجنس ايضاً محرفة من genos . ويستحب في الاصطلاحات العلمية ان يكون للكلمة الواحدة مدلول واحد . فعلينا ان نقابل genre بجنس ونجد لكلمة sexe كلمة اخرى وإن استعمل كثير من المؤلفين كلمة جنس لإفادة معنى سكس كصاحب بحر الجواهر فانه قال (الجنس كلّيٌّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو ، هذا في اصطلاح المنطقيين . واما عند الأطباء فيراد به معناه اللغوي كما يقال جنس الذكورة والأنوثة ، فان الجنس في اللغة ما يعم كثيرين ولا يشترط فيه اختلاف الحقائق ، ولا شك ان الذكورة والأنوثة كذلك) .

اراد الدكتور محمد شرف في معجمه ان يستبدل كلمة شقة بجنس فقال : SEX (جنس) — شقة (ج شقائق) « انما النساء شقائق الرجال » وقد عربها المحدثون بكلمة جنس والحال ان الجنس يقابله Genus بالفرنجية ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس . اهـ . اقول نعم يجب التمييز لأمن اللبس . ولكن الشقائق الواردة في الحديث الشريف ليست جمع شقة بل جمع شقيقة مؤنث شقيق بمعنى الأخ ، وجمع شقة شقق وليس شقائق ، وشقة لا تفيد معنى سكس . ثم ان الدكتور خالف نفسه بعد قليل فاستعمل ما أنكره فقال ارتكاس جنسي وانتخاب جنسي وتنقية جنسية الخ .

ان الكلمة العربية الصحيحة المقابلة لكلمة sexe هي الزوج . فلقد وجدت كلمة زوج اتت بهذا المعنى في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، اليكها :

(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه . . .) سورة فاطر ، آية ١١ .

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) يس ٣٦ .

(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً يذرؤكم فيه . . .) الشورى ١١ .

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى ٤٩ و ٥٠

« قال ابو منصور اراد بالتزويج التصنيف ، والزوج الصنف ، والذكر صنف والأنثى صنف . التاج مادة زوج » .

(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) . الذاريات ٤٩ . « وفسروا الزوجين بالذكر والأنثى » .

(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . النجم ٤٥ .

(أيحسب الانسان ان يترك سدى . ألم يك نطفةً من مني يمنى . ثم كان علقةً فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) القيامة ٣٦ — ٣٩ .

(وخلقناكم ازواجاً) . النبأ ٨ .

فهذه الآيات الكريمة لا تدع محلاً للشك في ان سكس يقابله الزوج بالعربية . ولم تفت هذه الحقيقه مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد وضع كلمة زوج مقابل SEX في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرّها . ولكنه لما علم ان كثيراً من المؤلفين استعملوا كلمة جنس في هذا المعنى شفعوا كلمة زوج بكلمة جنس (ص ١٩) . وليتهم اقتصروا على كلمة زوج وخصصوا كلمة جنس بـ genus .

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

التنبيه والتوجيه

اني كاتب هذه المقالة وناشرها قصداً مني الى التحقيق ورغبةً في التنبيه والتوجيه ، ولطالما تمنيت ان أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيمة غير متلبث ولا متمكث لأوفر على نفسي راحتها ولأستجمّ قلبي بشيء من القناعة والعزوف عن البحث والتحرّي اللذين لم يجبا عليّ ولا وُكلا إليّ ، فلم أحلَ من ذلك التمني بطائل ، ولا أعفيتُ المجلة من التعاليق والاستدراك ، فعلى الله تعالى أتوكل ، واليه أبتهل فأقول بعد التمثل بقول الراجز « لا بُدّ مما ليس منه بد » هذه الملحوظات الضرورية موجزاً فيها :

١ — جاء في ص ١٥ من المجلد الثامن عشر من المجلة « ولنا ... ما يكفل إعادة

النظر » . ويكفل من الكفالة تتعدّى بالباء لا بنفسه وفي أساس البلاغة « وهو كفيل بنفسه وبماله وكفل عنه لغريمه بالمال وتكفّل به » فالصواب ما يكفل باعادة النظر ، اما للانسان فيقال « يكفله » .

يتبع : (بغداد) **مصطفى جواد**

حول (القنبلة)

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢ ج ٧ — ٨ و ٩ — ١٠) ما جادت به قريحة الأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر المغربي عن نشأة (القنبلة) وتكونها فدفعني حب الاستطلاع والتحقيق ان ارجع الى ما بين يديّ من المعاجم التركية فتبين لي ان اصل (القنبلة) فارسي وهي محرفة عن (خمبرة) .

جاء في مادة (خمبرة) في (رسملي قاموس عثماني) لصاحبه علي سيدي المطبوع في الآستانة سنة ١٣٢٤ رومية : (خمبرة) فارسية معناها (كلّه) مجوفة . و (كلّه) تركية تطلق على مرمي المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس ا ه . أما (خمبرة) فمركبة من (خُم) اي (حُقّ) دن خمر ؛ و (پاره) اي قطعة . والأتراك اخذوها عن الفارسية وهم يلفظونها (قومباره) ولا يزالون الى يومنا هذا يطلقونها على (حُق) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (متليك) او قرش مثلاً ، يجمع (يصمد) فيه أولادهم ما يأخذونه من آبائهم او اقاربهم من النقود . و (الحُقّ) الصغير هذا كروي يشبه القنبلة الصغيرة وتسميه العامة في الشام (مَطْمُورة) وفي الكتب المدرسية (حصّالة النقود) .

وفي كتب التاريخ التركي تمر كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومباره) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره جي) اي ملقي القنابل او صاحب القنابل الخ .

فاذا لفظوها (هومباره) ارادوا بها القنبلة الحقيقية واذا لفظوها (قومباره) بالقاف ارادوا بها ذلك (الحُقّ) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

الصفحة فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الحادي والعشرون